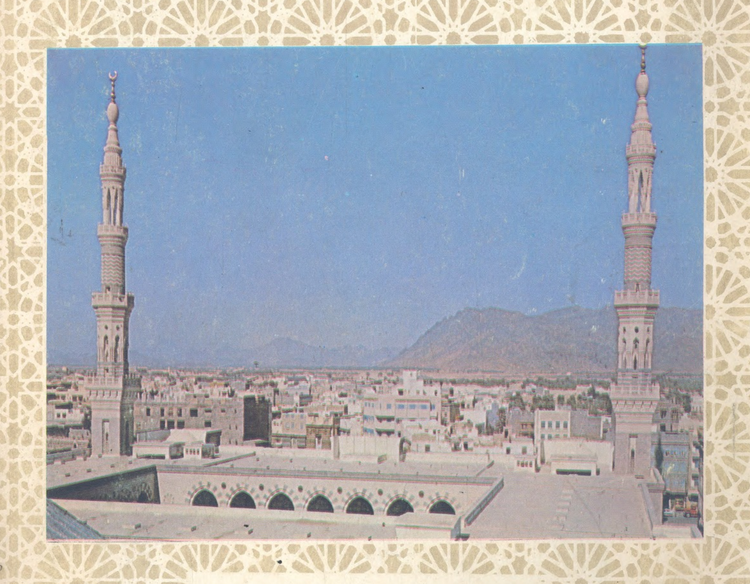
الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

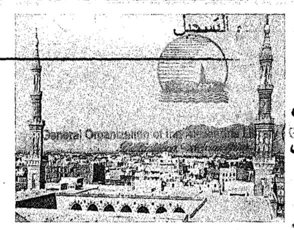
السنة الثامنة ـ ٨٧ ـ غرة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ ـ ١٥ ـ ابريل (نيسان) ١٩٧٢ م



عدد خاص بمناسبة المولد النبوى الشريف



بعض أعضاء وفد المركز الاسلامى بلندن أثناء زيارتهم للكويت ...



المسجد النبوى الشريف وتبـــدو فى الصورة المنارتـــان السامقتان ومن خلفهما بعض جبال المدينة والأبنية الحديثة .

الوعى الاسلامى

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السـنة الثـامنة

العدد السابع والثمانون

غرة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ

١٥ ابريل (نيسان) ١٩٧٢

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شـهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمن

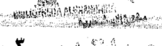
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

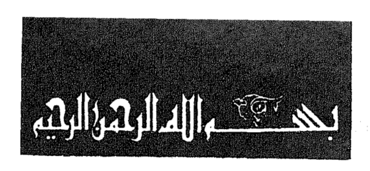
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشـاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسـلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت





حديث الشهر

أحاديث يجب تصحيح فهمها

لعل خير ما يقدم للقراء فى ذكرى مولد رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم — تجلية معانى بعض أحاديثه الشريفة التى اشتبهت مفاهيمها على بعض الناس ، فبعدوا عن مراميها ، وفسروها على غير وجهها . أما لعدم احاطتهم بالأحداث والملابسات التى تلقى الضوء على المقصود بها ، وأما لعزلها عن مرماها ، وتحدد مسارها مما جاء به الوحى الالهى والهدى النبوى .

ولو ان هؤلاء المحدثين المفسرين ممن لا يستمع لقولهم ، ولا يؤخذ عنهم ولا يوثق فيهم لهان الخطب ، ولكنهم ممن تقبل أيديهم ، ويتحلق العامة حولهم وتتلقى أقوالهم بالقبول والرضا دون مناقشة ولا تردد .

ولو لم يكن لهذا الشطط فى التفسير أثر بعيد فى سلوك العامة — وما اكثرهم — أضر بهم وبأمتهم فى دينهم ودنياهم — لما احتاج الأمر الى هذا الاهتمام والتنبيه .

ونختار من هذه الأحاديث نماذج من أبواب العفو والزهد والفتن . نلفت النظر اليها ، وندعو الى التركيز عليها وتصحيح مفاهيمها فى أذهان من غرر بهم — عن قصد أو غير قصد — فاستمرءوا الذنب والتوبة طمعا فى المغفرة ، أو رضوا بالدون من الحياة اعتمادا على أن ما خف حمله خف حسابه ، أو جبنوا عن الجهر بالحق والجهاد فى سبيله ايمانا بالعزلة وخطأ فى تصور (عليكم انفسكم) .

١ — أحاديث العفو :

وردت أحاديث كثيرة تنبىء عن سعة رحمة الله ، وتدل على واسع مغفرته وواسع عفوه ، وأنه — سبحانه — يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، وان هذا الفضل الالهى العظيم متاح للانسان ما لم يغرغر ، ومتاح للاناسى جميعا فى طول الدنيا وعرضها ، وعلى اختلاف أجيالها وممر عصورها حتى تطلع الشمس من مغربها ، ويأذن الله

للحياة على ظهر الارض بالأفــــول والانقطاع .

وهذا الكرم الالهى الكبير الــذى تشير اليه هذه الأحــاديث تسانده الآيات القرآنية فى وضوح وجلاء ، وبهذا أصبح عقيدة راسخة فى قلوب المؤمنين ، فالله سبحانه غافر الذنب وقابل التوب ورحمته وسعت كـــل شىء ، ولا يتعاظمه شىء ، ولا حرج على فضل الله ، ولو أن الخـــلق جميعا أطاعوه ما زاد ذلك فى ملكه شىء ، ولو أنهم جميعا عصوه ما نقص ذلك من ملكه شىء ، ولو أن الانسان أتى ربه بقراب الارض خطايا ثم لقيه مؤمنا تائبا لأتاه بقرابها مغفرة .

ومن أحاديث العفو هذه قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال :

((اذنب عبد ، فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال الله عز وجل : أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفــر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أى رب أغفر لى ذنبى ، فقال الله تعالى : اذنب عبدى ذنبا ، وعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب ، فقال : يارب اغفر لى فقال الله تعالى : أذنب عبدى ، فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . أعمل ماشئت فقد غفرت لك) .

ليس المقصود من هـــذا الحديث قطعا ــ تيسير المعصية ، ولا الاغراء بالخطيئة ، ولا التهوين مــن شأن الجريمة ولا الغاء قانون الجــــزاء والعمل ، فان الله سبحانه لا يأمـــر بالفحشاء ، ولا يظــلم الناس مثقال ذرة : ((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)) و ((كل امرىء بما كسب رهين)) .

والحديث يشير الى نوع خاص من المؤمنين الذين يلمون بالمعصيـــة ، فيخجلون فورا من سقطتهم ويلتمسون فورا من الله أن يقيلهم من عثرتهم ، ويحسون بالضيق الشديد عندما تزل أقدامهم ، فيسرعون الى الله بالانابة والمتاب ، فدائرة عفو اللـــه تحتضن أولئك الـــذين أخلدوا الى الأرض فى لحظة نسيان أو جهالة ، وطبيعـــــة الانسان الذى يمتزج فيهـــا الخيـــر والشر ، ويلتقى فى ساحتها الملـــك والشيطان تسمح بهـــذه الهفوات والزلات ، والايمان لا يقتضى العصمة (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض) .

ولا بد من أن ينزع المرء مرة
الى الحمأ المسنون ضربة لازب

ففهم هذا الحديث ، ونقل هـــذا الفهم للناس علـــى أنه استهانة بالمخالفات واستباحة للمحرمات ، فهم معوج لا يتفق مع الايات والأحاديث التى تشيع الرهبة من الذنوب والآثام ((ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هـــو نـــزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، وهو الران الذى قال الله فيه : ((كلا بـــل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كـــلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم)) .

ان استمالة العامة بهـــذه الشروح

المبثوثة الصلة بمسئولية الانسان عن كل ما يصدر منه كما هو قانون العدل الالهي — تجعلهم لا يأخذون الدين والتكاليف مأخذ الجد ، فيقصرون في الواجبات ، ويتهاونون في الحقوق اعتمادا على أماني خادعة كاذبة : ((ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)) .

٢ — أحاديث الزهد :

وفي مقام تذكير الذين شغلتهم الدنيا عن القيام بالواجبات والنهوض بالمسئوليات ، وردت أحاديث صحيحة كثيرة في التزهيد فيها والعزوف عن شهواتها ومتعها ، وقد شرحها غير الفاهمين لطبيعة الاسلام ، وغير العارفين برسالة هذه الامة شرحا يعزل المسلمين عن الحياة ، ويأسرهم في المساجد ، وينفرهم من العمل حتى يدعوا ميادين الرقي والتطور لمخالفيهم في الدين ، ومن هذه الاحاديث التي ظلمها هؤلاء ما رواه مسلم عن جابر ابن عبد الله : ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من باب العالية ، والناس كنفية فمر بجدي أسك (صغير الأذنين أو مقطوعها) ميت ، فتناوله ، فأخذ بأذنه ، ثم قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا فيه لانه اسك ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)) .

ان هذا الحديث وغيره مما ورد في هذا الباب لا يقصد به التزهيد في عمارة الارض ولا تجميد الفكر الاسلامي عن استكناه أسرار الكون ، ولا تقييد تحرك المسلم عن التسابق والتنافس في تحصيل الغنى والاستمتاع بطيبات ما أحل الله من الرزق ، والامساك بزمام الحضارة .

ان من الأحاديث النبوية أحاديث أدوية وأشفية ، ولكل داء دواء ، ولكل مرض طب وعلاج وما يصلح من الدواء لمرض لا يصلح الآخر ، والأمراض الخلقية والاجتماعية بمثابة الأمراض العضوية ، فلا يقال للبخيل أمسك عليك مالك ، كما لا يقال للعائل المعدم أد الزكاة ، ولا يقال للمترف أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، كما لا يحذر المسكين من الترف والبذخ .

ان الذين يفسرون هذه الاحاديث على أنها تناول الجاف من الطعام ولبس الخشن من الثياب ، والرضا بالفقر والمسغبة ، بعيدون كل البعد عن المنهج الذي رسمه الاسلام للحياة وقد أصاب المسلمين من هذا الفهم الخاطىء ضرر كبير .

ان الزهد في الدنيا ليس دعوة الى الراحة والفراغ من العمل الدنيوي الجاد ، بل هو دعوة صريحة الى اقتحام الاهوال وركوب المخاطر ، والتعرض للحتوف والتضحية في سبيل الله لأن الدنيا أهون من أن يتشبث بها مسلم تشبثا يفقده كرامته أو يخل بمرؤته او يقعده عن خدمة دينه وأمته .

٣ ــ أحاديث الفتن :

ومن الاحاديث التى اسىء فهمها ، وتأولها نفر من الناس على غير وجهها الحق الاحاديث التى وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتن ، ومنها هذا الحديث الذى رواه مسلم عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ستكون فتن ألا ثم تكون فتن ، : القاعد فيها خير من الماشى فيها ، والماشى فيها خير من الساعى اليها ، ألا فاذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له ابل فليلحق بابله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)) ..

قال ، فقال رجل : يا رسول الله : أرايت من لم تكن له ابل ولا غنم ولا ارض ؟ قال : يعمد الى سيفه ، فيدق على حده بحجر ، ثم لينج أن استطاع النجاء .. اللهم هل بلغت .. اللهم هل بلغت .. اللهم هل بلغت)) .

ان المعنى الذى ينبغى أن يحمل عليه هذا الحديث هو حصر الفتنة المسلحة التى تقع بين المسلمين فى نطاق ضيق حتى يمكن اخمادها والقضاء عليها لأن الاشتراك فيها يؤدى الى امتداد شرارها واتساع نطاقها ، وفى هذا تمزيق لشمل الأمة واصابة أهل الحق بأضرار جسيمة وعندئذ يمكن لأعداء المسلمين القضاء عليهم ، فى يسر وسهولة ، وقد تعرضت الأمة الاسلامية فى عصور التاريخ المختلفة لمثل هذه الأزمات ، وأصابها من نيران فتن التقاتل على الحكم والسلطان ما جعلها مغنما لأعدائها .

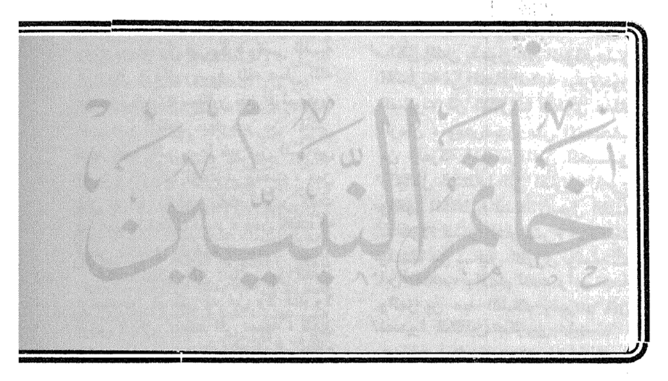
وليس فى هذا الحديث دعوة للاستسلام للشر ، ولا للنكوص عن الجهاد ، ولا للسكوت عن الظالم كما يرى بعض المتأولين .

ان الذين يدعون الى العزلة عن المشاركة فى الحياة العامة ،ويروجون للسكوت عن المنكرات بدعوى فساد الزمان ، ويحرضون على الانسحاب من المعركة المستمرة بين الحق والباطل استنادا الى التأويل المعوج والفهم الخاطىء لسنة رسول الله ــ هؤلاء ليسوا أعلم بشرح الأحاديث وفهمها من سفيان الثورى وسعيد ابن المسيب والامام أحمد وابن تيمية والعز بن عبد السلام وغيرهم ممن تصدوا للظالمين ينكرون عليهم ، ويصرخون فى وجوههم ، وينقذون الناس من عسفهم وبغيهم .

وليست هذه هى كل الأحاديث التى يخبط بعض الناس فيها على غير هدى وبصيرة ، بل هناك غيرها كالأحاديث الواردة فى التوكل والأحاديث المروية فى القدر ، وكم جر سوء الفهم على المسلمين من تأخر وتواكل وذل واستسلام استغله أعداء الاسلام فنشطوا وتقدموا ، واحتلوا وتمكنوا .. على الذين يتصدرون لتربية الأمة أن يكونوا أهلا لتحمل هذه المسئولية علما وفقها والله ولى التوفيق .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى

في
ذكرى
المولد
النبوي



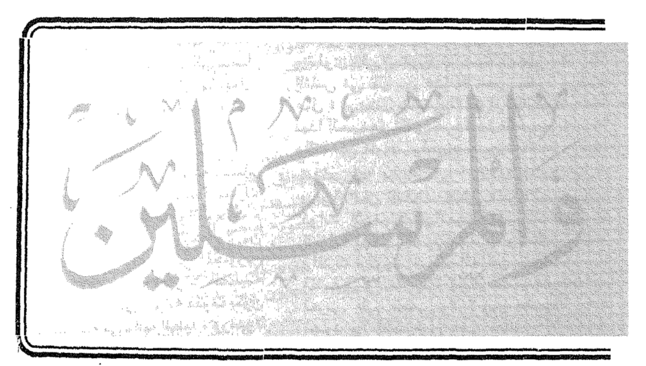
هداية الدين لاغنى عنهما للناس مهما بلغوا من الرقى والتقدم فى مدارج الحياة ، وقد تفضل الله تعالى على خلقه تفضل المنعم الكريم بنعم لا سبيل الى احصائها وتبيان وجوه الخير فيها ، وفى ذروتها أنه أرسل اليهم من صفوة خلقه رسلا مبشرين ومنذرين يدعونهم الى الله ويهدونهم الى صراطه المستقيم الذى يظفر من سار فيه بخيرى الدنيا والآخرة .

ومحمد عبد الله ورسوله هو خاتم النبيين ، وقد اصطفاه الله من الأمة العربية هاديا من ضلالة ، ومنقذا من جهالة ، ومخرجا من ظلمة الى نور ، ومن باطل الى حق ، ومن شقاء الى سعادة ، ومن حيرة وقلق الى سكينة واطمئنان .

ولا ريب أن اختياره عليه السلام من العرب مع اختيارهم جندا له وحملة لرسالته ؛ انما هو فضل لهم لا يجحده الا جاحد وان جهلناه نحن الأخلاف الذين ورثوا عن أسلافهم أكرم تراث فأساءوا فيما ورثوا الصنيع . والشرف الرفيع حين تتداوله أيدى الجهالات والضلالات ، يوشك أن يضيع ، ليكون به الذين ضاعوا وأضاعوا سبة للأولين ومعتبرا للآخرين .

فأما أن الله تعالى قد اختار محمدا خاتما للنبوات ومتمما للرسالات فذلك حيث يقول « ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم

للشيخ أحمد حسن الباقورى



النبيين » ، « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ، وأما أنه ـ سبحانه ـ قد اختار العرب لشرف الرسالة الاسلامية الخاتمة ، يحملونها الى العالمين فذلك قوله « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » ، وقوله خطابا له عليه السلام « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » ، فالذكر الشرف الذى سوف تسأل عنه الأمة العربية يوم القيامة ، وعن قيامها بحقه ، وعن تعظيمها للرسالة التى نيطت بها ، وعن شكرها ربها على أن رزقها اياه وخصها به بين العالمين .

وليس ينبغى لمنصف أن يسارع الى الحكم على هذا القول بأنه اتجاه قومى يتعصب للعروبة ويعتز بالعرب فى حين أن الناس أحوج ما كانوا الى اطراح النعرات القومية واعتناق المعانى البعيدة عن الاعتزاز بالأجناس والعروق ، وفى حين أن الناس أيضا يعلمون ـ أو ينبغى أن يعلموا ـ أن الاسلام دين لا يضيق بشىء كما يضيق بالدعوات العنصرية ولا يدعو الى شىء كما يدعو الى اعتناق المعنى الانسانى الشامل الذى تختفى فيه معالم العصبيات لأنها فى اعتباره ضلال عن سواء السبيل . وذلك أن هناك فرقا بين العصبية التى هى طغيان واستطالة على الناس ، وبين

العصبية التى هى اعتزاز بفضائل القوم ، تمتهد بها السبل الى اقامة معالم العدل والحق والخير بين الناس . ومصداق ذلك ما يقوله رسول الله لسائل سأله عن العصبية ما هى ؟ فقال له النبى « العصبية أن تعين قومك على الظلم وأن تنصر أخاك ظالما ومظلوما » ، فاذا خلت العصبية عن هذه الحدود الفاصلة بين الخير والشر والنفع والضر ، فانها عندئذ تصبح عصبية حميدة يدعى اليها ويعتز بها ويحرص عليها على ما يقول النبى نفسه « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم » .

قبل اكثر من ألف وأربعمائة عام استقبلت الانسانية وليدا مبارك الثمرات ميمون الغدوات والروحات ، لم يكن أحد يظن ، لا من بيته ولا من قبيلته ، ولا من أمته ولا من المجاورين لأمته من أصحاب الحضارات العظيمة أن سيكون له شأن ، وأنه سوف يكون أماما للقومية فى مثلها العليا ، ورسولا للانسانية كلها فى قدوتها الحسنى .

ذلك هو محمد بن عبد الله النبى العربى رسول رب العالمين الى جميع خلقه من عرب وعجم ، ومن بيض وسود ، ومن سادة ومستعبدين ، وهو — مع كونه نبيا عربيا مبينا ورسولا من لدن رب العالمين الى جميع خلقه — كان راضيا بعروبته معتزا بها ، يحمد الله لأنه ولد يوم أعز الله العرب ونصرهم على متربصين بهم طاغين على حوزتهم وقد استباحوا ما استباحوا من جوارهم ، فكان صلوات الله عليه يحب قومه ، ولا يحب أحد يبغض قومه ، فلا يكره العرب الا منافق ، ولا يكون مخلصا فى عقيدته من لا يخلص فى رعايتهم وعرفان حقهم ، فيقول لصفيه ومشيره سلمان رضى الله عنه : يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك ، فيقول له : وكيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ فيقول له النبى تبغض العرب فتبغضنى .

كان محمد يحب قومه ، ويحب أن يحب الناس قومه ، وهذا غاية ما تبلغه النفس من القومية فى شعورها وعاطفتها ، وكان حبه هذا هو الحب الذى يعمل ولا يقنع بأن يشعر وينطوى على شعوره ثم يستطيل على الناس فى ظل من هذا الشعور بغير عمل ، أو بعمل يناقض الاعتزاز الكريم فهذا الحب هو الذى جمع شمل العرب وألف بين قلوبهم وأخرج من شتات قبائلهم أمة مهيبة عزيزة الجانب رحيبة آفاق الفكر ، تتلقى عنها الأمم ذوات الحضارات العريقة رسالة الهداية باسم الله رب العرب والعجم والترك والروم ، رب العالمين ، رب المشارق والمغارب ، فلا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود ولا لقرشى على حبشى الا بالتقوى ..

تلك هى المعجزة الالهية لمن يشاء أن يتدبر المعجزات فى حياة محمد رسول الله ، وهى أن تجىء دعوة الأمم الى المساواة ، والى فضل العمل ، والى كرامة القومية فى غير مساءة الى أحد ، من ناشىء بين قوم بلغوا بالعصبية غايتها من الانفة لها والاعتداد بها والغيرة عليها .

ولو أنه صلى الله عليه نشأ فى غير العرب ، فى غير هذه الأمة التى لا ترى سوى القبيلة ، وفى غير هذا الجيل من الأعزاء المتكبرين باللغة وبالسلف وبالمنعة ، لكانت رسالته بالمساواة بين آدم وحواء رسالة من معدنها لا تستغرب من صاحبها ولا من

قومه ، ولكن محمدا كان فى الذروة من فخار النسب ، وكان نسبه العريق ملتقى الأنساب بين أقـوى الأقوياء واغلب الغلاب وأشرف البيوتـات ، يجتمع معه فى مضر قبائل قيس كلها ، ويجتمع معه فى نزار قبائـل بكـر وتغلب ، ويجتمع معه فى عدنان من لم يجتمع من هؤلاء وهم جميعا فـى الصفوة من ذوى العصبية الأعـزاء فاذا كان فى مكة فهو فى بلـد الكعبة التى كان يهدى اليها العرب أعز مـا يملكون وأنفس ما يقتنون ، والتـى اهدى اليها كسرى ــ فيما يذكر الامام السهيلى ــ الغـزالين من الـذهب اللذين كشف عنهما حفر عبد المطلب بئر زمزم ، واذا كان عليه السلام فى قريش فهو فى بنى عبد مناف ، واذا كان فى بنى عبد مناف فهو فى بنى هاشم ، واذا كان فى بنى هاشم فهو ابن عبد المطلب ، خلاصة من خلاصة من خلاصة ، كما يقول الأثر الشريف « ان الله اصطفى من بنى اسماعيل كنانة ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى بنى هاشم مـن قريش ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

ان محمدا اكبر من أن تجلى كرائم صفاته كلمات ، كما أن دعوته أجـل وأعظم مـن أن تشرح مقاصدهـا وأهدافها أقلام عجلى فى يد أذهـان مجهودة تكتب الى قراء رهقتهم تكاليف الحياة ، واحاطت بهم خبائث الدعايات الكواذب التى تعوق عن التأمـل الصحيح والاستيعاب الواعى لفضائل المذاهب الاصلاحية والقائمين عليها وفضائح المذاهب الهدامة والمتعصبين لها .

والذين يطيب لهم أن ينتفعـوا بالحديث عنه صلوات الله عليه لا بد أن يستقوا حديثهم من منابع القرآن العظيم ، لكى يتهيأ لهم الربط الوثيق بين المنهاج وبين القدوة فـى هـذا المنهاج ، لأن القرآن مع كونه منهاجا اصلاحيا كاملا لم يبلغ غايته ، ولـن يبلغ غايته من الاصلاح المنشـود الا بالقدوة الصالحة ، ويكذب الـذين يظنون أن المنهاج بغير قدوة يستطيع أن يفعل شيئا ، ويصـدق الـذين يقولون إن القدوة ولو بغيـر منهاج أقدر على الاصـلاح وأيسر سبيـلا اليه .

وفى القرآن والخبر يستطيع المتأمل أن يتمثله عليه السـلام بشرا رضى الخلق ثقيل الأعباء داعيا الناس الى الاستقامة على الطريق بعمله أكثر من دعوته اياهم الى ذلك بقوله ، الـى أنه عليه السلام حبيب الـى قلوبهم مطاع فيهم فى المنشط والمكره وفيمـا يأخذون وما يدعون .

وأول ما يسترعى الانتباه من حديث القرآن عن رسول الله ، تلكم الآيات التى وصفته بأنه بشر ، يأكل ويشرب وينـام ويستيقظ ويرضى ويغضب ويفرح ويحزن ثم يحيا ويموت « قـل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » ، « فاصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم » ، « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » ..

فهذه الآيات وأمثالها حين تصفـه بالبشرية ، تقارن فى القرآن آيـات أخر تصفه بالعبودية لله رب العالمين « الحمد لله الـذى أنزل على عبـده الكتاب » ، « سبحان الـذى أسرى بعبده » ، « أليس الله بكاف عبده » وهذه الآيات وتلك الآيـات ــ فى وصفها اياه عليه السلام بالبشريـة والعبودية ــ تستهـدف أمرين :

احدهما تبيان الحق وأخذ الطريق على المعاندين الذين يطلبون اليه ما ليس فى طاقة البشر ، وثانيهما تطهيره من الغلاة الذين قد ينساقون — خبثا أو جهلا — الى السمو به فوق البشر فيضعونه فى منازل الالوهية . وعجب فى هذا المعنى أن ترى من أمته من يرفعه بعض أتباعه الى منزلة الاله مع أنه صلوات الله عليه ظل على مر القرون فى منزلته من كونه بشرا عبدا لخالق السماوات والأرض ، فلم يتحدث عنه تاريخ الا بأنه عبد الله ورسوله وفيض رحمته للعالمين ، ومرد ذلك عند التحقيق الى هذه الآيات التى أدامت على الاسماع وصفه بالعبودية حتى صرف ذلك طلاب الغلو عن الغلو فيه ، وحتى وقفوا به عند وصف القرآن اياه .

ولئن كانت هذه الآيات قد أدارت على الأسماع وصفه بالبشرية فحال ذلك بين الغلاة وبين رفعهم اياه الى منزلة الألوهة ، لقد كانت هذه الآيات نفسها مجالا لعناد معاند وتكذيب مكذب « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » .

وأما أخلاقه عليه السلام فحسبك منها فى القرآن قول الله « وانك لعلى خلق عظيم » ، « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ؛ وخلقه العظيم صلوات الله عليه — بكل ما ينطوى عليه من مفردات الصفات الكريمة — لم يتهيأ له بعد الرسالة فحسب ، ولكنه كان خلقا ملازما له من قبل ومن بعد على ما يعرف ذلك كل من قرأ ما كتبه عنه الكاتبون عربا وعجما وأصدقاء وأعداء ، ومن ذلك ما يرويه الثقات من اختيار زيد بن حارثة البقاء معه عبدا على اللحاق بأبيه وقومه حرا ، فى حديث طويل يرويه الثقات من المحققين وفيه يستبين قول الله تعالى « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » فان هذه الآية نزلت بسبب تبنى محمد زيدا واشهاده قريشا على أنه ابنه وأنهما يتوارثان كما يرث الولد والده والوالد ولده ، وكان ذلك عرفانا من محمد لفضل زيد وتقديرا كريما لموقفه معه حين آثره على أبيه وآثر بيته على بيت قومه .

وأما ثقل أعبائه ففى قول الله تعالى تبيان له « يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا » فقد فرض الله عليه قيام الليل ، وفرض على نسائه تبعا له ما لم يفرضه على سائر نساء المسلمين فضاعف لهن العقوبة فى الاساءة والمثوبة فى الاحسان .

وأما انه كان قدوة للمؤمنين يدعوهم الى الخير بعمله أكثر مما يدعوهم اليه بقوله فما نرى أحدا يخفى عليه أن يجد لذلك مثلا لا تخضع لحصر ولا تنقاد لبيان ، وآية ذلك أنه يدعو الناس الى التقشف وهو سيد المتقشفين حتى تقول عائشة « لقد كان يمضى الشهر والشهران دون أن توقد فى أبيات النبى نار فليس له ولا لأهله من طعام الا التمر والماء » .

ويذكر الثقات أن بعض أصحابه — بعد أن فتح الله عليهم الدنيا — قدم بين يديه طعاما طيبا فلما هم يضعيده ليأكل رآه الناس يبكى بدل أن يطعم فسأله سائل ما يبكيك فقال : أبكى لأن رسول الله فارق الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وهأنذا كما ترانى وبين يدى أطيب الطعام .

وأما حب الناس له وايثارهم طاعته على كل أثير ، فأمر يعرفه المتدبرون تدبر الفاقهين المنصفين .

كان بعض أصحابه — فيما يروى الثقات من أهل الحديث — يؤم المسجد ، وفيما هو فى الطريق اليه سمع صوت النبى يقول اجلسوا أيها الناس ، فحين أنتهى صوته عليه السلام الى مسمع صاحبه جلس حيث هو فى السوق أو على باب المسجد ، لم يزد خطوة واحدة بعد أن انتهى الى مسمعه الصوت الشريف ، ولم يزل كذلك حتى خرج النبى ورآه على هذه الحال فسأله : ما أجلسك هذا المجلس ؟ فقال يا رسول الله انى سمعتك تقول اجلسوا فجلست حيث ترانى ، فقال له النبى « زادك الله طاعة » ..

فهكذا كان أصحابه يحبونه حبا يدعو الى القدوة به ، وهو الحب الذى يمضى بسالكيه الى مرضاة الله سعادة فى الدنيا ونعيما يوم يقوم الأشهاد ، وليس حب المجاذيب التافهين الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا فيقودهم هذا الحب المصنوع الى سخرية الساخرين فى الدنيا والى مساخط رب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

أسأل الله تعالى أن يرزقنا حبه حبا يدعونا الى القدوة به والمسارعة الى طاعته ، وأن يرزق المؤمنين به ايمانا يدعوهم الى صيانة تراثه من عبث العابثين وتآمر المتآمرين وتربص المتربصين ، ولئن فعل — وله الفضل والنعمة — لقد أدركتنا رحمته فخرجنا بها من ظلمات تلف الماضى وتحجب المستقبل وتنذر بأكبر الاضرار واشد الأخطار .

والله الهادى الى سواء السبيل .



للاستاذ الدكتور : محمد البهى

* هو محمد بن عبد الله عليه السلام .

* هو ذلك الانسان الذى تخلص منذ طفولته من تاثير الشهوة والهوى على تصرفاته . وما يروى عن أنس من أنه قد شق صدره فى طفولته وأخرجت منه المضغة السيئة ليس الا تعبيرا حسيا عن هذا التخلص ، او بالأحرى ليس الا تعبيرا عن مدى تجنبه منذ الصغر وقدرته على الحركة لما يؤذى الذات او يؤذى الآخرين ، وعن التزامه بالسلوك الانسانى الكريم فى تصرفاته وفى مواقفه .

* هو الطاهر ، والأمين : لم يفعل الا ما هو مقبول عند الناس . ولم ينقل أو يتحدث الا من واقع ملموس .

* *

* كان معدا بصفاته الانسانية الكريمة لأن يتلقى رسالة من الله للبشر ، تجمعهم على الكرامة الانسانية التى تتمثل فى الايمان بالله وحده ، وتهديهم الى الصراط السوى ، وهو صراط العدل والاحسان .

ولكنه لم يكن معدا لأن ينقل عن الآخرين من أهل الكتاب ممن أصابوا طرفا من رسالات الرسل السابقين . اذ كان اميا : لا يستطيع الاطلاع

على ما لديهم بالقراءة ، كما لا يستطيع تسجيله بالكتابة ، فضلا عن اختلاف اللسان بينه وبينهم : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه (أى يحيدون عنه ويكفرون به) أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين (١) » .

* فاذا أضيف الى كونه عليه السلام أميا : ان القرآن « موضوعى » يستهدف البشرية وحدها وتخليصها من آثار الشهوة والحزبية ، وآثار الشعوبية والعنصرية .. يستهدف نقل المجتمع الانسانى من بداوة السلوك ، وقبلية التصرف والموقف .. الى مجتمع ذى حضارة ترى فيها خصائص الانسان فى بناء العلاقات ومباشرة التصرفات .. اذا أضيفت الى أميته : « موضوعية » رسالته ، فان صدقه فى هذه الرسالة لا يحيد عنه الا جرىء فى الانكار ، أو واقع تحت تأثير دفع العادة أو جمود الذهن وحركة التفكير .

وموضوعية القرآن تتجلى :

أولا : فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والمعروف هو ما شاع فى عرف الناس قبوله واستحسانه . والمنكر هو ما راج لديهم استنكاره ورفضه . وما كان من المعروف أو المنكر على هذا النحو لا يختلف فيه فريق من الناس مع فريق آخر منهم . وبالتالى لا يمثل حزبية ولا غرضا خاصا . وانما يعبر تعبيرا واضحا عن « موضوعية » .

وثانيا : فى تحليل الطيبات فيما يستمتع به الناس : فى الأكل والشرب ، وفى العلاقة بين الرجل والمراة . وفى تحريم الخبائث وتجنيب الناس اياها : فيما تشتهيه النفس كأكل الخنزير أو الميتة ، وكشرب الخمر ، ولعب الميسر ، وكالربا فى المعاملات المالية ، والزنا فى علاقة الذكر بالأنثى .

والطيبات هى ما تنطوى على المتعة التى لا يصحبها ضرر للذات أو للغير . والخبائث هى ما يؤدى تناولها أو مباشرتها الى ضرر يعود على الذات أو على الغير ، أو عليهما معا . وتحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث فى القرآن لا يستند الى التأثر بعادة فى مجتمع ما . وانما يستند الى « موضوعية » فوق كل الفروق فى العادات والتقاليد فى المجتمعات البشرية وتستهدف الصالح العام وحده لكل انسان .

وثالثا : تتجلى هذه الموضوعية للقرآن فى تحرير المجتمعات مما وراء ذلك من قيود على الاستمتاع بمتع الحياة المادية ، أو على المعاملات أو العلاقات .. تلك القيود التى وضعتها تقاليد معينة أو أعراف خاصة . وعلى وجه معين تحريرها من عبادة الاصنام وعبادة الانسان للانسان ، والاعتقاد فى الخرافات والاوهام .

وهذا كله بالاضافة الى أداء عبادة المال ، ووجوب مباشرة العدل ، والسعى الى سلوك طريق الاحسان : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ،

فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »(٢) .

ان (امية) الرسول عليه السلام مع (موضوعية) رسالته ، هى الحجة القاطعة اذن فى صدقه فى الرسالة .

وموضوعية الرسالة يبعدها عن أن تكون طريقا للانتقام ، أو الانقلاب ، كما يبعد أن تكون الدعوة اليها لاثارة الاحقاد ، وهدم أواصر الاخوة البشرية بين الافراد جميعا .

موضوعية الرسالة تجعلها تسلك مسلك التوجيه ، وتخاطب منطق الانسان ، دون شهوة المعدة أو الفرج ، وتحتكم الى الارادة الحرة فيه .

ولذا : ما يعرضه القرآن من أمارات محسوسة فى الكون تشير الى وحدة الله فى الوجود .. يقرها كل صاحب منطق سليم ، ويستخلص منها الدلائل كل من لا يعترض تفكيره تمسك بمادة أو تقليد خاطىء . وعلى نحو هذه الأمارات فى وضوح استخلاص نتائجها منها ما يضربه من أمثال . فهى توجه الى العقل البشرى وحده . نقف قليلا عند قوله تعالى : « وضرب الله مثلا رجلين : أحدهما أبكم لا يقدر على شىء ، وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم »(٣) .. اذ من النظر فى هذا المثل يصل العقل الى التمييز والمفارقة بين شخصين لا ينبغى أن يكونا فى مستوى واحد . اذ أحدهما فاقد الارادة واستقلال الذات ، بينما الثانى يملك زمام أمر نفسه ، كما يملك شأن العدل بينه وغيره . ومن وصول العقل الى هذا التمييز بين موجودين فى عالم الوجود يدرك : أن هذا العالم لا يستطيع أن يوجده الا من كان كامل القدرة على الأشباه والمتباينات . وكامل القدرة يجب أن يكون واحدا ، ويستحيل أن يكون متعددا .

وبقدر ما تخاطب الرسالة الموضوعية لدعوة القرآن العقل البشرى ، بقدر ما تعتمد كذلك على الارادة الحرة والمشيئة المطلقة فى الانسان . أى تعتمد على الاقناع الذاتى بها : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل »(٤) .

فالحق ــ وهو دعوة القرآن ــ معروض فقط وغير مفروض بالقدرة المادية أو بالتحكم فى مصائر الأفراد وأرزاقهم ، والانسان له أن يهتدى فيؤمن بها ، أو ينحرف ويضل فيكفر بها . والقائم بأمر هذه الدعوة ان هو الا مبلغ ومعلن لها .. ان هو الا موضح بعيد فى توضيحه كل البعد عن أن تكون له ولاية أو سلطة على من يدعوهم .

ولذا اذا كان موضوع الدعوة القرآنية انسانيا من حيث المبادىء والقيم العليا التى انطوت عليها .. فأسلوبها انسانى كذلك ، من حيث : بعده عن الاكراه ، ومن حيث : اتجاهه المباشر الى عقل الانسان وحده .

وبانسانية موضوع الدعوة ، وبانسانية أسلوبها مع ذلك : تقوم رسالة الرسول الأمى عليه السلام للانسانية حضارة فى مستوى رفيع ، تعجز البشرية حتى الآن عن أن تقدم لونا من الحضارة يخلو من أثر الحزبية ومن وسيلة العنف والاكراه . والقرن العشرون بما له من فخر الابداع فى بحوث الفضاء والآلية ، والاعتزاز بالتوسع فى التطبيق التكنولوجى .. فان ما استحدثه من وسائل التدمير الرهيبة يجعل من بعض الشعوب أمما

كبرى ذات نفوذ على حساب ماعداها ، ومن البعض الآخر اما صغرى تدور فى فلك غيرها ولسيادتها ومصالحها الذاتية . كما أن ما يتصارع فيه من ايديولوجيات لا تعرف للقيم الانسانية العليا وزنا وانما تمجد نظم حكم معينة والقوة المادية وحدها ، كما لا تعير حرية الانسان اهتماما فى قبوله لما يشاء . بل تكرهه اكراها على قبول راى معين بطريق مباشر او غير مباشر . ولذا اذا كان القرن العشرون قرن الحضارة العلمية الصناعية فانه قرن مفلس بالنسبة للحضارة الانسانية الخالصة .

ومحمد الأمى عليه الصلاة والسلام فى بلوغه هذا المستوى الرفيع المعجز فى موضوع الرسالة وفى أسلوب الدعوة اليها ، انما كان له ذلك بفضل اصطفائه من قبل الله لهداية البشرية . ولو لم يكن مصطفى ومختارا من الله لوجد قصور فى موضوع الرسالة — أو لكان قد التجأ ولو مرة الى الهوى او الاكراه فى أسلوبها : « افلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا (اى تناقض) كثيرا »(٥) .

لم يفرض عليه السلام دعوته الى الحق على احد ، عندما كان يستطيع أن يفرضها بالقوة على المكيين يوم أن دخل مكة فاتحا وكان له النصر المبين اذ ذاك وانما بقى ملتزما أساس الأسلوب فى الدعوة اليها : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

وأسلوب دعوته لذلك لم يكن أسلوب ثورة ، وانما كان أسلوب توجيه واقناع .

ولم يكن أسلوب انقلاب ، بل كان أسلوب تطور .

فالثورة والانقلاب — مع فرق بينهما — وسيلة لتمكن صاحب الفكرة من السلطة أولا عن طريق القوة المادية . ثم بعد أن يتمكن يفرض دعوته بكل الوسائل التى تصم الآذان بها ، وتعمى الأبصار عن غيرها ، وتغلق القلوب والعقول دون قبول ما سواها .

ثم شتان بعد ذلك بين موضوع دعوته عليه السلام وموضوع ما يسمى بالثورة أو الانقلاب فى عصر العلم والتيكنولوجيا . فبينما الحق للبشرية كافة يتجلى فيما جاء به وحى القرآن .. اذا بالهوى والشهوة يسيطران على خطوط الايديولوجية الثورية وعلى وسائل نشرها .

ان الثورة او الانقلاب من أجل السلطة فقط ، بينما دعوة الحق التى جاء بها محمد الأمى عليه السلام هى لاصلاح البشرية ، وتمكين الخصائص الانسانية فى العلاقات بين أفرادها . ولم يكن فى تصوره عليه السلام عندما قام بدعوته مبشرا ونذيرا وهاديا الى صراط الله : أن ينقض على عرش ملك أو نظام حكم ، ليرث الحكم وجاهه ، أو أن يكون ثريا يحيا حياة الترف عن طريق ثرائه الطارىء . وانما بقى فى تواضعه فى أسلوب الحياة قبل الدعوة ، ولم يتغير بعد أن دان له النصر ، واصبحت له أمة متماسكة ، وقوة عزيزة الجانب تصد العدوان عن دين الله الذى أجتمع عليه من كانوا أشد فرقة فيما بينهم ، واقرب الى الهاوية بسبب خصومة بعضهم لبعض ، فى لحظة من اللحظات : « واذكروا نعمة الله

عليكم » اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »(٦) ..

● ●

والاحتفال بذكرى ميلاد الرسول الأمى عليه السلام هو قبل كل شيء فى ابراز موضوعية رسالته ، وبانسانية مبادئها واسلوب الاقناع بها .. هو فى تأكيد اصطفائه من الله . لأن القرآن بما له من موضوعية مطلقة يستحيل أن يأتى به شخص — وشخص أمى — مهما تعاون معه المتعاونون وشد أزره أصحاب المعرفة والحكماء المختلفون : « قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (فى موضوعيته وتجرده عن الغرض والهوى قبل كل شيء) لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(٧) .. هو فى ادراك المسلمين فى حاضرهم أنهم باتخاذهم أسلوب العلمانية أو التبعية لايديولوجية أجنبية ، انما يستبد لون الذى هو أدنى بالذى هو خير . لانهم عندئذ يأخذون بجملة من المبادىء صاغها الحقد والهوى ، أو صاغتها الأنانية ، بدلا من نظام يرى العلاقات الإنسانية فى انسانيتها ومودتها والاخاء بين أفراد الانسان جميعا . وانهم بعد ذلك يسخرهم الشيطان فى سبيل الطغيان وحده ..

---

(١) النحل : ١٠٢/١٠٣ ..
(٢) الاعراف : ١٥٦/١٥٧ ..
(٣) النحل : ٧٦ ..
(٤) يونس : ١٠٨ ..
(٥) النساء : ٨٢ ..
(٦) آل عمران : ١٠٣ ..
(٧) الاسراء : ٨٨ ..

من هدي السنة

للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ في جامعة الكويت

عن الصعب[1] بن جثامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا حمى[2]. الا لله ولرسوله)) .

رواه البخاري

كل عاقل يجب أن يستكثر من الخير ، وكل قوى يريد أن يبسط سلطانه على ما تؤهله له قوته ، ولا يخلو الامر في كل حال من ظلم يحيق بآخرين ، وتعد على مستضعفين ، وقد مر ويمر بالحياة قاهرون ومقهورون ، وغالبون ومتغلبون ، ولو أن البشر تركوا وشأنهم دون قيادة حازمة تضع كل شيء في موضعه ، وتعمل على ايصال الحقوق لاصحابها لصارت أوضاع الناس فوضى حيث لا هادي ولا رائد ، ولا حامي ولا ذائد ، وفي هذا الحديث الشريف يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متزعمي الجاهلية الى ربهم القوى ويمضي بهم الى رحاب رسوله المصطفى ويعلمهم أن كل شيء لله وحده ولا يحق لعبد أن يخص نفسه بزائد يتجاوز به حدود رب العالمين ، فقد روى أن هذا القول الشريف موجه اصالة الى شرفاء الجاهلية الذين كانوا اذا نزل أحدهم أرضا استعدى كلبا فحمى مدى عوائه لا يشركه فيه غيره ، وهو يشارك القوم في سائر ما يرعون فيه ، فكان هذا التوجيه نهيا عن فعل ممقوت ، ضرره يقع على الاكثرين ، ويعود فضله على آحاد . ويستمر واجب التطبيق في كل عصر ومصر حتى ينفخ في الصور لا يقبل نقدا ولا تعديلا ، لان مصدره من يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، ومبلغه ومنفذه المجتبى المختار .

والاسلام في حاجة ماسة الى ادامة الدعوة لمبادئه القويمة ، حتى تثبت في الارض وتستقر في النفوس، وتصبح واقعا عمليا مطبقا في أرضه، فلا بد من تبصير أممه وشعوبه بمناهجه الصريحة السليمة البينة ،

التى ترسى أسس العمران القائم على مجتمع متكاتف متحاب ، متحد متساند ، ولا ينمو ولا يزدهر الا بدعاة مخلصين مؤمنين بالله وحده وبرسوله الامين : ((**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**)) ووثقوا بقيوم السموات والارض ، وعرفوا عن يقين لا يتسرب اليه شك ، ولا يداخله ريب ، أن الله الذى رفع السموات بغير عمد ، وبسط الارض ودحاها ، ذلك الاله القوى القادر القاهر العظيم ، هو رب محمد النبى العربى الهاشمى القرشى ، سليل أمة شرفت به فى دنياها واخراها ، وقد رعاه فى الجاهلية وتعهده وادبه فأحسن تأديبه ، وأكرمه اذ حال بينه وبين الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واختاره من بين خلقه اجمعين لحمل الرسالة وأداء الامانة الى الناس كافة ، وحفظه بعنايته من شياطين الجن والانس ، وجعله من اولى العزم ، تحمل الاذى من قومه وصبر عليه ، فقد أوذى فى سبيل الله فصبر حسبة لله ، القيت عليه الحجارة وبصق علىَ وجهه الشريف ، وجمعت القاذورات على باب داره ، وأخرج من بين أهله وعشيرته ، فما وهن عزمه ، ولا ضعفت ارادته ، ولا أوغر صدره على أحد ولا قسا ابدا حين قدر : ولا تخاذل فى القيام بالمهمة التى وكلت اليه ، بل مضى قدما فى الدعوة الالهية وجاهد وجالد وصبر وصابر ، وكان جوابه الدائم للمعاندين ، والمؤذين والمعوقين جواب الرحيم ، والاخ الكريم ، والرسول الحكيم ، ((**اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون**)) ..

وهنا نتساءل : هل كان رسول الله صلى اله عليه وسلم يريد من دعوته مالا ؟ أم هل كان يطلب جاها ؟ ، أم كان يسعى لدنيا فى صورة أخرى ؟ والجواب على هذا التساؤل جواب واحد وهو : لا ، والف لا ، يقولها التاريخ بملء فيه ، وتتردد أصداؤها فى الدنيا بقوة قوية جارفة للباطل ، ماحقة للكفر ، وكيف يطلب دنيا ؟ ورب الدنيا يقول له فى محكم كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ((**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا**)) وكيف يطلبها وهو يعلم : أن الدنيا خداعة غدارة ، ماكرة فاجرة ، عزها ذل ، وغناها فقر ، لا بقاء لها ولا استقرار : ((**لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء**)) .

نعم : لقد طلبها فى حدود أوامر الله تعالى ونواهيه ، واستقر فيها لحظات من عمر الزمان ليعلم البشر ان العاجلة مزرعة الآجلة ، وأن هنا سوق للبيع والشراء ، وهناك احصاء الربح والخسارة ، وقد رحل عنها يوم اطمأن على رسوخ اقدام الدعوة ، وثبات مبادئها ، واستقرار الامر لخلفائه من بعده .

وكيف يطلب جاها ؟ وجاهه مستمد من رب كل شىء المبدىء المعيد الذى أوحى اليه ما أوحى بعدما اطلعه على جلاله وعظمته ربه مسير الفلك ، ومقيم الملوك، ومبيد الظلم والظالمين، أهلك فرعون وهامان ، وأسرى به فى لحظات ، وطاف به الملكوت فى لمح البصر : ((**علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالافق الاعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فاوحى الى عبده ما أوحى**)) .. الآيات من سورة النجم .. ــ كيف يطلب جاها غير جاه ربه الذى اراه منازل العتاة الجبارين فى النار : ((**اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون ، فى الحميم ثم فى النار يسجرون**)) هنالك

يقال لهم : ((**ذوقوا مس سقر**)) ويقول قائلهم : ((**يا ليتها كانت القاضية ، ما اغنى عنى ماليــــه ، هلــك عنى سلطانيه**)) فيجاب : ((**خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه**)) . الآيات من سورة الحاقة .

وكيف يريد من الدنيا مــالا وهو صلى الله عليه وسلم الــذى أنزل عليه : ((**ان ربك يبســط الرزق لمن يشاء ويقدر انــه كان بعباده خبيرا بصيرا**)) . الآيــة ٣٠ من ســورة الاسراء ـــ ويوقن بغنى وقدرة من يقول : ((**ولولا ان يكون الناس أمة واحــدة لجعلنا لمن يكفــر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابوابـــا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربــــك للمتقين**)) الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من سورة الزخرف .

هيهات هيهات ، أن تكون دعوة خير الخلق لدنيا او لجاه أو لمال ؟!! وانما كان لبها وجوهرها ومبدؤهــا وخيرها ، وأولها ومنتهاها ، هداية الحائرين وارشـاد الضالين ، وانشاء مجتمع اسلامى قوى قويم مستقيم ، فيه يتعاطف المواطنون ويتراحمون ، يعرفون لربهم حقه ، ولدينهم واجبه ، وينالــون من طيبات الدنيا فى غير مخالفة ولا تجاوز لحدود الله : ((**قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يــوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقــوم يعلمون**)) . الآيــة ٣٢ من ســـورة الاعراف .. دعا سيدى رسول الله الى تكوين أمة سداها ولحمتها الايمان بالله ، والتواصى بالخير والمرحمة ، أمة تتواصى بالحق وبالصبر ويعرف أبناؤها أن لهم مكانا على الارض يجب أن يحموه ، وأن يشهروا السلاح فى وجوه أعدائه ، ويؤمنون بأن القوة كل القوة فى التعاطف الاصيل الذى يمحو الفوارق ، ويبيد الفتن التى تنشأ من حقد الفقير على الغنى ، وما الغنى فى أمة الاســلام الا نائب عن الله فى ماله ، وليس له مما ملك أو مما ملكه الله الا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأبقى ، وان يعرفوا تمام المعرفــــة أن مـــن دواعى انهيار المجتمعــات السعى فيهــا بالفساد فمحوا من بينهم الساعى بالنميمـــة المفسد بين الناس بالوقيعة الخادع الغاش فكل أولئك لهم مكان فى سواء الجحيم ، فمجتمع الاسلام الحقيقى يوقن العائشون على ارضه المستظلون بسمائه انهم كما هم سواسية فـــى هوائه وشمسه ومائه هم كذلك سواء أمام رب الهواء والشمس وخـــالق الليل والنهار لا فضل لأحدهم عـــلى اخيه الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم .

لله أنت سيدى رسول الله ، حولت كل شىء الى الافضل ، فبدلت الظلم عدلا ، والجور انصافا ، والجهــل علما ، والظلمـــة نـــورا ، والكفر اســلاما وايمانا ، والتنــافر محبة ووئاما ، لقد حولت الحمق والعنجهية والجاهلية الجهلاء فى بعض أصحابك الى صرامة فى خدمة الدين ، ودفاع فى ايمان وصوفية فى قوة ، وصيرت من قصاب كسعد بن أبى وقاص قائد جيش وفاتح ممالك ، وبدلت من خالد ابن الوليد الحرب على الاسلام صديقا مؤمنا ســيفا للاسلام مجــاهدا فى سبيل الله حتى لقى ربه وهو عنه راض ، وجعلت من العبد ذى الرأى المطروح والقــول المتروك وخــدن المهــانة وقرين الــذل ، عنوانا على الصبر ورمزا للجهاد فى سبيل الحق والعقيدة ، وقبل كل أولئك أريتنا كيف يصير الاسلام الرجل صديقا صدوقا ، وحبيبا مخلصـــا ، يفــدى صاحبه بنفسه ، ويقــدم راضيا روحـــه فى

سبيله ، وحسمت هـذه المعانى فى نماذج كثيرة من اصحابك الاكرمـين على الله وعلى الناس .

هذه التركة التى أرسى قواعدها سيدنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم والتى تهيجها فى نفوسـنا ذكرى مولـده الشريـف تحتاج الى رجال مؤمنين موقنين بفناء الـدنيا وبقـاء الآخـرة يعملون لها (أى للدعوة) ليلا ونهارا حتى تبقى وتثبت وتطبق ، تريد عاقـلا تعـاف نفسه طعام الزائلة ، ويدعو مخلصا لوجه الله ، يقول مقالة نوح لقومه : ((**ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجرى الا على الله ..**)) ومقالة هود لعاد : ((**يا قوم لا اسالكم عليـه اجرا ان اجرى الا عـلى الـذى فطرنى أفلا تعقلون**)) وذلـك ليثقوا فى اخلاصه ولا يجدوا ثغرة ينفـذون منهـا الى عرضه وخلقه .. التركة تريد رجلا جازما مجاهدا فى سبيل الله يتحمل المشاق بقوة أولى العزم ، فقد بدأ الاسلام بالـدعوة المسالمة الى الله ، حملها رجال آمنوا باللـه وزادهم هدى ، وباب العمل مفتوح ، ولكل مجاله الـذى يستطيع فيه خدمـة عقيدته فـلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين .

وبعد : فان الحقبة التى نعيشها الآن ، تطلب من كل فـرد قادر أن يتحمل المسئولية كاملة وان لا يحاول إلقاء التبعـة على غيره ، فالحاجة دافعة الى تضافر الجهود ، واستغلال الخيرات ، واطراح الأنانية المقيتة ، والتجافى عن الراحـة والدعـة ، والسير نحو البناء المعمر الشامل ، كل ذلك مع طاعة الله ، وانتهـاج الطريق الأقوم ، الذى نصل منه الى قهر العدو الكاشح المتربص ، وبهذا يظل الحمى للـه ولرسوله مهـابا مصونا ، فمن لم يـذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يحمى حماه يهلك ، ومن ينكص على عقبيه فالنار مثواه والدمار نهايته ، والحق واضح أبلج ، والباطل ضعيف لجلج ، والله مع العاملين ولن يترهم أعمالهم ..

---

(١) الصعب ، بفتح الصـاد وسكون العين المهملتين ، وجثامة ، بفتح الجيم وتشـديد المثلثة ، ليثى .

٢) الحمى ــ لغة : المحظور ، وفى الاصطلاح الفقهى ، ما يحمى الامام من الارض الموات لرعاة يعينها لهم ، ويمنع سائر الناس مـن النزول فيها ، ويطلق الحمى ايضا على محارم الله تبارك وتعالى ، وفى الحديث الشريف ، ألا وان حمى الله محارمه ، ومن حام حول الحمى يوشك ان يواقعه .. الخ .

للشيخ : محمد ابو زهـــرة

١ ـــ **((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمـــة ، إنك أنت الوهاب)) .**

((ربنا إنك تعلم مـــا نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء)) .

ربنا اجعلنا من الذين قلت فيهم : **((وهدوا الى الطيب من القول ، وهدوا الى صراط الحميد)) .**

ربنا اجعلنا من الذين يستمعون الى كتابك الخالد من غير تحريف للقول عن مواضعه ، واجعلنا من الذين يدعون اليك سبحانك .

وممن ينطبق عليه قولك الحكيم : **((ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)) .**

اما بعد ، فقد قرأت فى العدد الخامس بعد الثمانين من مجلة (الوعى الاسلامى) التى أعرف أنها لا تنشر الا ما يتفق مع كتاب الله وسنة رســـوله صلى الله تعالى عليه ، قرأت فى هذا العدد مقالا مسهبا لأستاذنا على الخفيف ، قد كتب بعبارات انسانية واضحة ، تنتهى الى ضرورة أن يكون الطلاق بعـــد التحاكم أمام القاضى ، وان من يطلق من غير تحكيم للقضاء يعاقب بالســـجن والغرامة ، وقد ساق المبررات لذلك فى نظره .

وكنت أود مع اخوانى ان يبدى هـــذه المقدمات التى ساقها امام لجنـــة الأحوال الشخصية التى قدمت مشروعها سنة ١٩٦٢ ، وكان من ابرز أعضائها لكى يجنبها الخطأ الذى وقعت فيه وهو منع أن تقع عقوبة على المطلق ، ولقـــد تقررت ذلك بالاجماع ، ولم يعترض الأستاذ على منع عرض امر الطـــلاق على القضاء الا ان يكون بطلب المرأة مما نص عليه القانون فهو قد وافق مع الموافقين ولم يخـــالف .

وكنت أود ان يقدم ذلك البيان البليغ لمؤتمـــر مجمع البحـــوث الاسلامية ليهدى المجتمعين الى ما يراه الحق المبين ، ولكنه لم يقدم ، ووافق على ما رآه اعضاء المؤتمر بالاجماع ، وهو منع وجود عقوبة على المطلق وعدم الحاجة الى ان يكون تحكيم فى مجلس القضاء .

ولا ندرى لماذا لم يقدم ذلك البيان البليغ فى الحالين ، ولمــاذا وافق مع المجتمعين ، لعله كان معهم ، ولما انفرد عنهم رأى ما رأى ، والرجوع الى الحق فى زعمه خير من التمادى فى الباطل ، وسبحان مقلب القلوب .

٢ ــ واذا كان أستاذنا لم يقدم ذلك البحث المزين بأحسن الألفاظ فى وقت الحاجة اليه ، ووافق على ما اجتمع عليه اخوانه ، فكان معهم ، فأنا لا نسأل لماذا غير ما اجمع عليه مع اخوانه ، ولكن ندرس البحث فى ذاته من غير نظر الى ما أحاط به ولا الى وقت تقديمه ، وان كان مؤخرا عن وجوب تقديم ، ولا نلتفت الى ما سبق ، فسبحان الذى لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يجرى عليه البداء بأن يبدو له ما لم يكن فى اعتباره ونلاحظ ابتداء على بحثه أنه أحيانا يقتطــع الآيات عما سبقها ، وأحيانا يقتطعها عما وليها ، فمثلا يقول : قال تعــالى : **((تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون)) .** والاشارة فى تلك الى حدود الله السابقة ، فلم لا يذكرها ؟ اليوهم انها ما يراه هو حدا من حدود الله ؟.

ولنتم له الآيات بذكر ما اقتطعه مما قبلها ، حتى صرنا لا نفهم لفظ الاشارة فى (تلك حدود الله) يقول تعالى : **((والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصــلاحا ، ولهن مثــل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما افتدت بــه تلك حــدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حــدود الله فأولئك هم الظالمــون)) .**

انظر قد قطع لفظ الاشارة عن المشار اليه ، فلم تكن الحدود أن تكون ثمة رقابة من القضاء ولكن كانت الحدود لمدة الطلاق ، وحق المطلق فى الرجعــة وجوازها عند ارادة الاصلاح والفدية فى التفريق ان خيف الا يقيما حدود الله . هذه هى الحدود وليس منها وضع الطلاق تحت رقابة القضاء .

وقد ذكر بعض هذه الآيات فى مقام آخر ليوهم فيه شيخنا مســاواة الرجل بالمرأة الا فى حــق القوامة عليها ، وهى : **((ولهن مثل الذى عليهن))** والآية لو تأملها شيخنا لوجد أنها لا تتعرض لمساواة المرأة بالرجل ، بل هى تدل على تساوى حقوقها مع الواجبات عليها ، فالله تعالى يقول : **((ولهن مثل الذى عليهن))** أى لهن من الحقوق مثل الذى عليهن من واجبات بدليل التعــدية فى الأول باللام ، التى تفيد الملك ، والثانى بعلى التى تفيد الالزام ، ولا نحســب أن ذلك كان يخفى على شيخنا صاحب ذلك البحث البليغ لو تأمله ، ولكنه نظر اليه نظرة عابرة ، وظنه يفيد مساواة الرجل بالمرأة وان ذلك مبدأ خلقى وشرعى فلا واجب الا وفى مقابله حق ، فاذا كانت المرأة عليها تربية ولدها فانه يقــابله حق الحضانة .

والحقوق الشرعية كما يعلم الشيخ هى للتمكن من اداء الواجبات الشرعية

والشيخ حفظه الله تعالى يقتطع الآية عما يليها ، ومن ذلك أنه يستشهد فى الاصلاح فقد نقل قوله تعــالى : **((وان امرأة خافت من بعلها نشــوزا أو اعراضا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير))** واكتفى بهذا القدر ، وما بعده يوضح المعنى اكثر ، ولكنه يريد الوقوف عند ذلك ، وفيما

بعده بيان أن شح النفوس محضر ، وأن العدل النفسى غير ممكن ، وانه اذا حضر شح النفس بدل السماحة ، والظلم بدل العـدل فالتفرق واجب ، ولنقرا الآية كاملة ، لا كما اقتطعها شيخنا حفظه الله تعالى :

« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا ، فلا جنـاح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وأن تحسنوا وتتقوا ، فان الله كان بما تعملون خبيرا ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل . فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا ، وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما . وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسـعا حكيمـا . »

ترك الشيخ حفظه الله تعالى ذلك الجزء الأخير من الآية ، ولا ادرى لماذا أهمله ولم يذكره لعله لا يريد أن يغضب أحدا بذكره ، ولعله لا يريد أن يذكر أن فى القرآن استحسانا للطلاق ولو فى بعض الأحوال .

٣ ــ ولقد استشهد الشيخ حفظـه الله بأن عمر رضى الله عنه لما راى الناس يكثرون من الطلاق بلفظ الثلاث او يكررونه فى العدة جعله ثلاثا ، فقال :

روى ابن عباس رضى الله عنه أن الناس تتابعوا فى الطلاق ، وتعجلوا ، فتجاوزوا حدود الله تعالى فيه ، وطلق بعضهم مرتين وثلاثا فى عدة واحدة او بلفظ واحد ، وكثر ذلك منهم ظنا منهم فيما أن الطـلاق تصرف وكل لهم أن يستعملوه كما أرادوا فيكون طلاقا معتبرا فى وقوعه ، وفى عدده ، فلما راى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عده خروجا عن حدود الله ، وعصيانا لمـا شرع الله ، فاستشـار الصحابة ، وقال ان النـاس قد استعجلوا فى امر لهم كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهـم ، فلما وافقـوا أمضاه عليهم . . .

ولنا تعليق على هذا الخبر عن عمر رضى الله تعالى عنه من وجوه :

أولها : ان الذى استكثره عمر رضى الله عنه أنهم طلقوا أكثر من مرة فى العدة ، ولم يذكر أنهم طلقوا ثلاثا بلفظ الثلاث (راجع كتاب الطلاق للمرحوم الشيخ شاكر ، واعلام الموقعين) .

ثانيا : انه زاد فى الخبر انه استشار الصحابة ووافقوه ، وظاهـره أن الموافقة كانت بالقول . والخبر كما جاء فى صحيح مسلم ليس فيه استشارة ولا موافقة صريحـة ، وانما الامر كما جاء فى فتح القدير أنهم سكتوا ، ولم يعترضوا فعد ذلك اجماعا ، لان السكوت فى موضع الحاجة الى البيان بيان ، وفى الاجماع السكوتى كلام ، وانكره الشافعى وفيه كلام طويل (راجع الاحكام فى اصول الاحكام للآمدى) .

ثالثا : أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه لم يقل مع كثرة الطـلاق أن يكون بتحكيم بين يدى القاضى فيكون طلب الشيخ أن يكون بتحكيم القاضى بدعة ، وهو تقليد للنصارى ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

رابعا : أنه ادعى أن عمر فعل ما فعل للمصلحة .

واذا كان الثلاث مصـلحة فى نظر الشيخ فهو يأتى على اصـل دعواه بالنقض ، لأنه اذا كان الطلاق لا مصلحة فيه عند التهور ، فان توكيده بجعـل الثلاث تمضى ايغالا فى البعد عن المصلحة ، فكيف يسمى ذلك مصلحة ، ولكنه سماه مصلحة لغاية فى نفسه ، والله عليم بذات الصدور .

خامسا : أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يجد نصا قاطعا فى منع قوله ،

ولو كان هناك نص قاطع فى رد قوله ما وافق عليه احد من الصحابة ، ولا التابعين ، ولا الفقهاء اصحاب المذاهب .

٤ ــ وأن الشيخ ينتهى من بحثه الذى سماه علاجا لحال الطلاق الذى ادعى الاسراف فيه الى أن الطلاق يكون بعد التحكيم أمام القاضى ، وأحسب أن ذلك داء لا علاج ، وهو اتباع للكنيسة لا للقرآن ، وللاهواء والشهوات ، وليس محاربة للاهواء والشهوات .

يقول الشيخ : « يكون العلاج بوضع تشريع يوجب على الزوجين اذا ما اريد الطلاق الرجوع الى القاضى ، ليقوم بينهما بما أمر الله فى كتابه من محاولة الصلح بينهما ، وازالة أسباب الخلاف بالحكمة والموعظة الحسنة حرصا على بقاء الاسرة ، ومحافظة على ما ترتبط به المودة . . . واذا أقدم الزوج على التطليق قبل أن يتمكن القاضى من الصلح عوقب لمخالفته ولى الأمر ، فيما أصدره من قانون ملزم ، وليس فى عقاب من خالف ولى الأمر مخالفة لشرع الله ، فان أمره واجب الطاعة . . » .

هذا ما قاله فضيلة الأستاذ ، وهو متناقض مع ما سبق من قوله من أن الطلاق بيد الزوج ، وأن الله تعالى أعطاه ذلك الحق ، اذ هو يوجبه فى قانونه المحترم أن يذهب الزوجان ، ومقتضى كلامه اذا ذهب الزوج وحده لا يلتفت اليه .

قد يقول اذا ذهب الزوج وحده دعيت الأخرى ، ويحاول القاضى الصلح بينهما ، وبقى أمر آخر لم يذكره أن عجز القاضى عن الصلح ، واعادة المودة ، ورأى الزوج أن يطلق ، أيمنع من الطلاق ويجبر على الصلح اجبارا .

واذا امتنعت هى عن الصلح ، وطلق الزوج أيعاقب أيضا ، ان قوله هذا تفكير غريب ، واذا كان قانونا مقترحا ، فهو أغرب .

واذا كان لدى الزوج اسباب مبررة للطلاق كريبة ارتابها ، أو خروج عن جادة الزوجية الصالحة ، أو كانت النفرة المستحكمة التى لا يستطيع القضاء أن يجعل منها الصفاء محل الخصام وطلق الرجل فى هذه الحال ، أيعاقب ، والله يقول : **((وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته))** .

الله يقول ذلك ، وقانون الشيخ يقول : بل تبقى الزوجية على دخن ، ويكون الكفر فى الاسلام ثم ألا يفصل القاضى اذا تقدم الزوج بأسباب يراها مبررة للطلاق ، وألا يكون ذلك عدلا ، لئن قال الشيخ ذلك فانه يكون متناقضا مع نفسه ، لأنه يمنع أن يكون الطلاق بحكم من القاضى ، فيقول قبل ذلك لأنه منع التعزير على الطلاق بقوله :

بل قد يرى بحق أنها (أى الطلاق) معصية تستوجب تعزير من يقدم عليها غير أن ذلك قد يكون من الناحية العملية مؤديا الى ضرر ، من المصلحة تجنبه ، وهو اشاعة أسرار الأسر ، وخفايا البيوت وما قد يتصل بذلك من اختلاق الأسباب وافتراء الكذب ، واشاعة الفحشاء ، والعيوب وغير ذلك مما ينبنى عليه طلب الطلاق ، وذلك ما يدعو الى تفاقم النزاع واشتداد البغضاء . .

وهكذا نرى أن الشيخ يهدم بيد ما يبنيه باليد الأخرى . .

انه يوجب رفع الأمر الى القاضى ، والقاضى يفصل فى الخصومات ، ولكن أيريد مشروعه أن يقتصر على محاولة الاصلاح فقط ، ولا ينظر ما لدى الرجل من اسباب للطلاق ، وقد جاء الأمر اليه ، والا لا يكن قاضيا جالسا فى مجلس القضاء ، وأن نظر ألا يكون فى ذلك ما حاول الشيخ ان يتوقاه ، أم انه يجعل مهمته فقط محاولة الصلح ، وهل يستطيع أن يمنع الزوج مما يراه مبررا

للطـــلاق . والا يكون اولى من القاضى حينئذ محكمون ، او الموثق الشرعى اللهم ان هذا لفكر لا جدوى فيه ، الا ان يكون استدراجا للشيخ ومن معه الى الا يكون الطلاق الا بحكم القاضى كالنصارى .

وكان غريبا ان يقول شيخنا ان العقوبة بالغرامة او الحبس ليست لأجل الطلاق انما هى لمخالفة ولى الأمر .

وقد وجدنا ذلك الكلام يجرى على السنة كل من لف لفه من اعضاء لجنة وزارة الشئون الاجتماعية ، وانا نسأله هو ومن معه لم وضع ولى الأمر هـــذه العقوبة اليست على الطلاق من غير عرض الأمر على القضاء ، وحينئذ يكون وضع العقوبة على الطلاق ابتداء ، وان العقوبة على الطلاق تكون مصـــادمة للنصوص القرآنية ، وما أقر الصحابة أنه حلال عند الحاجة النفسية اليه ، وتقدير الحاجة نفسى للمطلق لا ينظر أمام القضاء ، وخفـــايا النفوس لا يمكن القضاء أن يتعرفها .

الله تعالى يقول : ((**لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمســوهن او تفرضوا لهن فريضة**)) . ويقول تعالى : ((**واذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة**)) يقول الله تعالى ذلك ، ويقول ولى الأمر باقتراح الشيخ من طلق من غير محاولة صلح عندى أغرمه أو اسجنه ، الا يكون ذلك معصية ، ولو كانت باقتراح الشيخ ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ان من الانصاف أن نقول : ان الشيخ قال فى بعض الصحف السيارة أنه يجوز لولى الأمر أن يقيد المباحات وأنه يبنى على هذا القول انه يجوز له أن يقيد الطلاق بأن يكون بعد محاولة الصلح أمام القضاء . ونقول الحق فى هذا القول:

ان المباحات قسمان مباحات بالنص . كالطلاق وتعدد الزوجات وغير ذلك من المباحات التى جاءت النصوص المحللة ، وهذه لا يصح منعها ، ولا تقييدها ، وان من يحاول منعها ينطبق عليه قول الله تعـــالى : ((**ولا تقــولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب**)) وينطبق عليها قول الله تعالى ناهيا : ((**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين**)) . وقد عاتب الله تعالى نبيه عندما حرم زوجاته على نفسه ، فقد قال تعالى : ((**يايها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك ، والله غفور رحيم**)) .

هذا هو القسم الأول ، ومن حرمه ، انما يحرم ما أحل الله ، فلا يجوز لشيخ ولا ولى أمر أن يحرمه .

والقسم الثانى ما كان مباحا بأصل الاباحة ، وبمقتضى أن الله تعالى خلق لنا كل شىء كالمرور فى الطرقات فان ولى الأمر ينظمه بقيود يقيدها ، بحيث لا يصل الأمر الى درجة التحريم ، فليس لأحد ان يحل أو يحرم .

٥ ـــ هل كثر الطلاق المفرق للأسرة :

اكثر الشيخ حفظه الله من ذكر أن الناس يتسرعون فى الطلاق ، فيطلقون تحت تأثير غضب جامح ، أو فكرة عارضة من غير تدبر ولا تفكير ولا مراجعة للنفس ، وان علاج ذلك يكون بأن يكون بين القاضى مصـالحـا ، أو حاكما ، والأولى ستجر الى الثانية لا محالة .

وذلك تقليد مسيحى ، فهــل الشرع الاســلامى لم يعــالج ذلك ، وهل المشروعات التى وافق على بعضها الشيخ موافقة تامة لم تعالج ذلك .

ان الشرع الاسلامى بنصوص القرآن وسنة النبى صلى الله عليه تعالى عليه وسلم عالج ذلك فجعل الطلاق كله يكون رجعيا ، وازواجهن أحق بردهن فى العدة ، كما قال تعالى : ((**وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك**)) فان كانت الطلقة الرجعية جاءت تحت تأثير حال عارضة ، فهى انذار ، والفرصــة قائمة وان عرض ما جعله يطلق مرة اخرى فهى ايضا رجعية ، وهى نذير شديد الانذار اذ يستمع فيه الى قوله تعالى : ((**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**)) .

فان لم تجد النذر كانت عقوبة الله تعالى لا عقوبة ولى الامر التى لا يملكها ويريد الشيخ أن يملكها (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .. وهى تجربة نفسية عنيفة لخطأ نفس متكرر . فعيوب النفس تعالج بالنفس لا بالقضاء ، والقضاء لا يعالج النفوس .

والقرآن اشار الى ان الطلاق لا يكون فى الحيض . فقال تعالى : ((**يأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**)) اى مستقبلات عدتهن وهن الحيض.

والفقهاء قرروا ان الطلاق اذا كان فى الحيض ، او طهر دخل بها فيه يكون بدعيا ، فالقرآن والسنة ، والفقهاء بهديهما عالجوا خطأ النفس بالنفس ، لا بالقضاء ، لأنه يؤرث العداوات على أنى سائل قضاة الأحوال الشخصية ، ـــ وقد شغل فضيلة الشيخ ذلك المنصب امدا ـــ هل كانوا يعملون على الصلح فى قضايا النفقات والحضانة وغيرها مما يعرض امام المحاكم الشرعية ، ونص القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ ولائحة المحاكم الشرعية قبل ان يدخلها التعــديل بهذا القانون كان يدعو الى الصلح قبل أن يسير فى القضية ، ابقاء على المودة بين الزوجين ، حتى لا تمزقها الخصومات ، فهل حاول القضاء ذلك ، وهل دون فى محاضره هذا فلماذا تحمل الآن القضاء ذلك الأمر ، وهو لم يفعل ذلك من قبل اذ طلب ، لأنه حسب نفسه للفصل لا للصلح .

وأنا سائل الشيخ عن أنواع الطلاق الآتية ، اتكون العقوبة مقررة فيها :

أ ـــ وقوع الفرقة بالايلاء بمقتضى قوله تعالى : ((**للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم ، وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم**)) ماذا تقول أيعاقب الحالف الذى تربص أربعة أشهر ولم يأت امرأته فيها ووقع الطلاق نتيجة لذلك ، فان كان يعاقب ، فانه يعاقب على حكم الله بالطلاق ، اذ لم يطلق ، وفوق ذلك فالعقاب مصادمة لحكم الله تعــالى ، واجبار على امر لا يستطيعه ، وهو الدخول .

وان كنتم لا تعاقبون فقد هدمتم ما بنيتم ، اذ يلجأ الناس عند المباغضــة الى الايلاء .

ب ـــ اذا فوض الرجل الى المرأة امر طلاقها ، فطلقت نفسها ، أيعاقب الزوج أم تعاقب الزوجة أم يعاقبان ، هو على تفويضـــه ، وهى على ايقـــاع الطلاق ، ولا احسب أن السيدة الدكتورة وزيرة الشئون الاجتماعية تعــاقب الزوجة لانها لا تلقى تبعته على امرأة ، بل تلقيها على الرجل .

جـ ـــ اذا افتدت المرأة نفسها من عشرة لا تطيقها ، ودفعت مالا او ابرأت عملا بقوله تعالى : ((**فان خفتم الا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيمــا افتدت به**)) اذا كان ذلك كذلك ، وكان الطــلاق بالخلع اتكون عقوبة ، وعلى

ايهما اعلى الزوج أم على الزوجة لأنها التى حملته على ذلك حملا ، أم عليهما ، ولا احسب أن السيدة وزيرة الشئون الاجتماعية ترضى بتحميل المرأة تبعة .

انى احسب أن الذين وضعوا المشروع الذى يدافع عنه الشيخ او يحاول تبريره لم يفكروا فى الامر من كل نواحيه ، ولو تدبروا فيه من كل وجوهه لرجونا أن يعدلوا ، ولاهتدوا الى سواء السبيل .

ان الأمر لا يقف عند تحكيم القاضى ، بل سيكون منع الطلاق الا باذن القاضى ، وانهم يستدرجون الشيوخ الى ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

انهم يريدون أن تكون الأسرة الاسلامية محكومة بحكم الكنيسة لا بحكم الاسلام تقليدا وليس حماية للمراة ، بل المراة فى حماية الله ، وهو الرءوف الرحيم .

ولكن لماذا يتهجمون بهذه البدع التى لم يكن لها نظير فى الاسلام ، ويتحملون تبعة ذلك الابتداع فى شرعنا ، بل فى ديننا .

قالوا : ان الطلاق المفرق للأسرة قد كثر ، وان تشتيت الأولاد قد عم ، وان الطلاق هو الذى يسبب ذلك ، وان المصلحة تقتضى وضع قيود مانعة من الاندفاع فيه ، ذلك قولهم بأفواههم والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

ولنناقش هذا الذى ادعوه :

ان وقائع الطلاق فى مصر أقل من وقائع الطلاق فى امريكا ، فقد بلغت نسبة وقائع الطلاق فى أمريكا ، وهو بيد القاضى نحو ٤٨٪ من وقائع الزواج ، وقريب من ذلك فى البلاد التى أباحت توثيق الزواج غير الكنسى ، انه يكفى عندهم أن تقول المرأة انه لم يقبلها فى الصباح كعادته فى ابتداء الزواج حتى يطلق القاضى ، هذا ما ترويه الصحف .

ونسبة وقائع الطلاق فى مصر الى الزواج ، كما يدل على ذلك احصاء ١٩٦٠ هى ٢٣٪ .

ونريد أن نقول ان الاحصائية تذكر عدد الطلاق بالنسبة للزواج سواء اكان قبل الدخول أم بعده ، وسواء كان الطلاق رجعيا أم كان بائنا ، وسواء أكان بتراضى الزوجين أم بمجرد ارادة الرجل ، ان الاحصائية لا تتعرض لذلك ، انما تحصى الوقائع احصاء ، ويجىء فلاسفة العصر المحاربون للشرع والموالون لغيره بتفكيرهم ، فيقولون كل طلاق يخرب اسرة ، ويفرق بين الأبوين ، وهو قول من لم يمحص الحقائق ، ولم يدرس الاحصاء .

ونحن شهد الله لا نتعصب لفكرة لم نفحص أدلتها ، ولا نحارب فكرة من غير بينة من البرهان القاطع فى بطلانها ، ولكنا نفحص ما يعرض فحصا يليق بمن يدرس أمرا اجتماعيا خطيرا فى مبناه ومغزاه .

٦ ـ الاحصاء يدل على أن الطلاق لا يخرب اسرا :

لقد قمنا باحصاء سهله لنا بعض ابنائنا من موظفى المحكمة الشرعية بمصر القديمة سنة ١٩٥٦ . ولقد دلنا الاحصاء على أن نسبة الطلاق بالنسبة للزواج تزيد على ٣٦٪ ، وهى تزيد على النسبة العامة فى مصر ، اذ أنها حول ٢٣٪ فى عمومها .

وذلك لأسباب اجتماعية اقتصادية خاصة بمصر القديمة لأنها مرسى

السفن التى تجىء من الوجه القبلى . وفى بولاق لانها مرسى السفن التى تجىء من الوجه البحرى والملاحون والحمـــلة فى السفن يتزوجون ، وعند الرحيـــل يطلقـــون .

ومهما يكن السبب ، فقد درسنا حال الطلاق الكبير فى نسبته فى مصر القديمة سنة ١٩٥٦ أيخرب الأسر أم لا يمسها بسوء .

لقد وجدنا عدد الزواج يصل بالاحصاء الى ١٦٨٦ (ستة وثمانين وستمائة والف) عـــدا .

ووقائع الطلاق عددها ٦٠٥ (خمس وستمائة) .

ولا شك أن الطلاق الذى يخرب الأسرة ، ويفرق بين الأولاد يجب أن يكون بعد الدخول والا تكون رجعـــة بين الزوجين كما شرع الله تعالى ، والا تستأنف الحياة الزوجية بعقد بين اثنين وقع الطلاق بينهما ولم يتراجعا فى العدة ، والا يكون بالتراضى بين الزوجين .

ولنحكم الاحصاء فى ذلك ، بأن نتعرف عدد الطلاق قبل الدخول ونسقطه من وقائع الطلاق ، لأنه طلاق فى موضعه ، اذ هو منع لحياة زوجية غير صالحة للبقاء ، فهو وقاية من حياة زوجية فاسدة .

ولنتعرف عدد الرجعات ، فانه عند الرجعة لا تنفصم العلاقة الزوجية ، ولا تفرق فى الأسرة ، ولا يحتار الأولاد بين ابوين منفصلين .

وكذلك الأمر بالنسبة لتجديد الزواج بين زوج ومطلقته ، فان الأسرة اذا كانت قد تقطعت ابتـــداء ، فقد وصلت انتهـــاء ، ولا تخـــريب ولا تشتيت فى هـــذا الحـــال .

ويجب أن نسقط من العدد الطلاق برضا الزوجين ، لأن الزواج بتراضيهما فالطلاق بتراضيهما ، وفى أكثر أحواله يكون بطلب المرأة اذا كرهت زوجها كما كان فى أمر النبى بالنسبة للمرأة التى قالت للرسول : انى لا اشكو من زوجى خلقا ولا دينا ، انى أكره الكفر فى الاسلام ، انى لا اطيقه بغضا ، فأمره النبى أن يطلقها على أن ترد اليه حديقته التى كانت مهرها .

ولان التراضى بين الزوجين يكون اذا خافا الا يقيما حدود الله ، فكـــان الافتـــداء ولذلك ننزل من عدد الطلاق ، الطلاق قبل الدخول ، وعدده فى سنة ١٩٥٦ بمحكمة مصر القديمة « ٣٩ » ، وعدد الرجعات كانت « ٣٨ » وعـــدد الزواج بعد الطلاق وانتهاء العدة « ١٥٠ » وعدد الطلاق بالابراء اى برضـــا الزوجة وتقديمها مالا فى سبيله « ٤٠٤ » .

ويجمع هذه الاحوال يكون مجموعها ٣٩+٣٨+١٥٠+٤٠٤=٦٣١ .

واذا كان عدد الطلاق ٦٠٥ ، فانه يزيد الذى يسقط عن أصل العدد بست وعشرين واقعة ، وهى تكون من عدد الطلاق فى السنة التى قبلها ولم تدخل فى حساب سنة ١٩٥٦ م .

وان نتيجة هذا الاحصاء ، انه بعد اسقاط الأعداد التى لا يمكن أن يكون تخريب أسرة ، اذ يكون الطلاق الذى يخرب أو يظلم المرأة لا وجود له ، وان وجد فبنسبة لا تذكر فى حساب يترتب عليه محاربة نظام مستمد من الاسلام ، ولا مصلحة فى هذه المحاربة ، بل هى عبث فى عبث ، لا خير وراءه .

وانه يجب أن يعرف أنه كان احصـــاء قام به المركـــز القومى للبحـــوث الاجتماعية والجنائية قام به الاستاذ الدكتور عويس أثبت فيه أن الاولاد الذين

لا يتربون فى ظل أبويهم أكثر مما هم عندنا ، ولكن حكوماتهــم تقوم بالرعاية والتتبع .

لقد ثبت من احصـــاء الدكتور عويس ، أن اسباب تخـــريب الأسرة فى انجلترا متعددة :

أ ــ ومنها الفراق الجسدى ، وهو أكثر من عدد الطلاق عندنا .

ب ــ ومنها اتخاذ الخلائل ، وهو أكثر من تعدد الزوجات .

جـ ــ ومنها الهجر الشديد ، وهو عندنا يعالج ، وان كان أقل عددا .

د ــ ومنها ادمان الخمر ، وهو عندنا لم يبلغ من الفحش درجة تقارب ما عنـــدهم .

هـ ــ ومنها القمار المخرب ، وهو عندنا محرم أولا ، ولا يقارب ما عندهم

ولذلك كان الأولاد الذين لا يتربون فى رعاية أبويهم مجتمعين اكثر ممـــا عندنا ، ولكن هناك رعاية للاحداث ليست عندنا كما قلنا ، فالعيب فى حكوماتنا لا فى شعبنا ، ولا فى شرعنا وديننا .

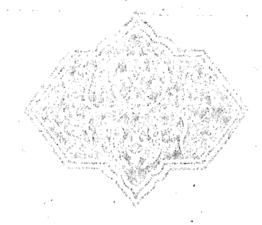
٧ ــ ومن الغريب أن تكون هذه الحملة الباطلة فى الوقت الذى تحاول فيه الحكومات الكاثوليكية أن تتحلل من منع الطلاق ، وقد صدر فى ايطاليـــا موطن البطريق الأكبر للكاثوليك ، قانون يبيح الطلاق .

ولكن لا غرابة فان عندنا نوعين من الناس يحاربون المبـــادىء الاسلامية فى الأسرة :

أولهما : نوع لا حريجة للدين فى قلوبهم ولا يجدون حرجا فى أنفسهم فى تقليد الكنيسة فيما تقضى به ، ولذلك يدعون الى تقييد الطـــلاق وتقييد تعـــدد الزوجات ، ويدعون باطلا من القول وزورا وبهتانا أن الطلاق يخرب الأسر ، وليس فيه شىء من ذلك الا قليلا وما عند الأوروبيين أشد وبالا ، وأقبح مآلا .

ثانيهما : طائفة من الناس يظنون انفسهم انصارا للمراة وهم أعداؤها ، يظنون أن جعل الطلاق بيد الزوج اهدار للمراة .

الا فليعلم هؤلاء أن الطلاق اذا شحت النفوس بالمودة يكون خيرا للمراة ، لأنه اذا لم يكن كان الاعتداء المتكرر عليها ، وربما أدى الى موتها ، وأى سعادة مع رجل يبغضها . وليعلموا أن كل تضييق فى الأسرة يقلل الاقبال على الزواج فتعنس المراة وتفسد أعصابها ، أو تضع نفسها فى موضع الافتراش المحرم ، وأى مهانة للمرأة أكثر من هذا . فاتقوا الله بهؤلاء الذين رضـــوا بأن يكونوا أمعات طائعة لهؤلاء وأولئك ، وليعودوا الى كتاب الله وسنة رسوله ، انهما الوقاية من كل شر ، اللهم اهدنا فيمن هديت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، ويسر لنا من أمرنا عسرا ، واهدنا الى الرشاد .





محمد بن عبد الله صلوات الله عليه رسول الله للبشرية كلها ، سيدى يا رسول الله . يا من نطقت باسمك ملايين الملايين ، وسيبقى اسمك مرددا فى القلوب وعلى الألسنة حتى يوم الدين ، سيدى يا رسول الله يا من اتبعت دعوتك جموع غفيرة من ملايين البشرية فى كل مكان وحين ، سيدى يا رسول الله يا معلم البشرية الخلق الكريم ويا من بعثك الله رحمة للعالمين وجعلك خاتم النبيين والمرسلين ، ان مولدك عيد ، وعيد اكبر للمؤمنين به والمهتدين بهديك على مر السنين ، ان مولدك ينبغى أن يكون أكبر عيد للبشرية كلها ، فمولدك فى الحق مولد الحق المبين ، فقد اصطفاك الله من بين خلقه وجعلك على خلق عظيم ، لتبشر الناس بالحق ، وتهديهم الى الصراط المستقيم وتنقذ البشرية كلها مما كانت تتخبط فيه من عقائد تزيف افكارها ، حتى اوصلتها الى جانب كبير من الفوضى ، بعثك الله على فترة من الرسل ضل فيها الناس رشادهم ، فصاروا اصناما تعبد اصناما ، تاسرهم الشهوات ، وتستذلهم الاموال ، وتستعبدهم قوى البغى والطغيان .

لقد اضاء الله بمولدك الظلام الداجى ، يوم كان العالم يتخبط فى متاهات الحيرة والضلال ، وجعل منك الداعية الصابر الحليم ، المستميت فى سبيل اعلان كلمة الله ، وانتصار الحق ، والوقوف فى وجه الطغيان ، مهما كلفك ذلك من جهد ، او تطلب منك تضحية وبذلا ، فكنت المعلم المثالى ، والقدوة الصالحة ، وكان الوحى هاديا لك ومرشدا ، والسيف فى يدك لمجرد الحماية من غير بغى ولا عدوان ، تدعو الناس الى التحرر من ربقة الذل والاستعباد ، وتنصف المظلوم من الظالم ، وتنصر الضعيف على القوى ، وتقف بجانب الحق دائما ، ولا تعبا الا بصوت الضمير ، فاعدت للانسان انسانيته ، ووصلته الى الطريق الذى يحفظ به كرامته ، ويكون

رسول ورسالة

مرفوع الراس دائمـــا لانه يسير على الطريق المستقيم ، فكنت بحق رحمة للعالمين .

* * * *

تفتح يوم مولده صلوات الله وسلامه عليه فى شهر ربيع الاول عن خير شمل الدنيا كلها والانسانية جمعـــاء وكان من حكمة الله أن ينشأ يتيما فقد مات أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو جنين فى بطن أمه آمنة بنت وهب فى أوائل مراحل الحمل ، ثم ماتت أمه وهى فى طريق عودتها بـــه صغيرا الى مكة بلده ومســـقط راسه ، وكانت فى زيارة أخوال أبيه ــ بنى النجار ــ بيثرب ، فحرم صلوات الله عليه من حنان الامومة وهو فى سن أحوج ما يكون الطفل متطلبا له ، وحرم من عطف أبيه وتوجيهه وبره ، وخلا قلبه من شواغل الابوة والامومة ليمتلىء بما أعـــده الله له من حمل رسالة الاسلام بعد أن يصنعه الله على عينه ويتعهده بالرعاية والتوجيه ، فكان فى كنف الله ، وحسبك من كان فى رعاية الله ، وكان سبحانه هو الذى يتولاه .

نشأ محمد بن عبد الله يتيما لا مال له ، بعيدا عن الجاه والسلطان فلم يخلف له أبواه مالا ولا سلطانا ، كان عزوفا منذ نشأته عن كل رجس ودنس، يميل بفطرته الى الخير ، وكان فى شبابه الصادق الامين فى قومه ، عرفوا عنه من أول أيامه بينهم الصدق والامانة والوفاء والمروءة والتعاون وحب الخير للناس جميعا ، وعندما اكتملت رجولته خلا بنفسه فى الغـــار بعيدا عن الناس وعن كل متع الحياة يناجى ربه فيتقبله الله قبولا حسنا ، ويعلمه تعليما ربانيا ، وينزل عليه الوحى بكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، ويأمره

ان يبلغ الناس ما انزل اليه من ربه ، فيصدع لأمر ربه غير عابىء بما يقف فى سبيل ذلك من عقبات .

نعم علمه ربه ورعاه فلم يعلمه بشر ولم يتعهده بالرعاية والتوجيه انسان ، أدبه ربه فأحسن تأديبه وقوم خلقه فأحسن تقويمه ، ورعاه فأحسن رعايته ، وغرس فى نفسه مبادىء الخير واستأصل من نفسه كل معانى الشر فاستحق أن يصفه ربه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » وصدق الله اذ يقول : « ما ودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى .. » فكان خير تلميذ لافضل أستاذ ، وصدق اذ يقول فيما يروى عنه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » فكان بحق انسانا سويا ، ومثلا أعلى للانسانية ، يسيل رقة ، ويفيض حنانا ، ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله العلم والحكمة ، وجعله نبيا مرسلا وختم به رسله وختم برسالته رسالاتهم ، وكان بذلك أهلا لتحمل هذا العبء الكبير ، وأن يحمل للبشرية جمعاء فى عصورها المختلفة دعوة التوحيد . فحمل الرسالة ، وصان الامانة ، واحسن الرعاية ، وأخلص فى دعوته ، وكان المثل الاعلى لكل من آمن به حتى يرث الله الارض ومن عليها .

* * * *

ويوم أن دعا محمد صلوات الله عليه بدعوة الاسلام ، كان يقف فى وجهه واقع ضخم من عقائد وتصورات ونظم مختلفة ، وتقاليد متأصلة فى النفوس ، وكانت السيطرة الكاملة للمال والقوة ، لكنه وقف صامدا أمام كل ذلك غير عابىء بشىء منه ، ورفض ما عرضوا عليه من مال وجاه وسلطان وقال كلمته الشهيرة التى ملأت فم الدنيا طوال هذه السنين : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الامر أو أهلك دونه ما تركته حتى يظهره الله » وانتصر محمد بقوة ايمانه ، وانتصرت دعوته على الواقع الضخم ، ونادى فى النـاس مقررا مبدءا انسانيا كبيرا ما كانت البشرية تعرفه فى ذلك العصر فقال :

« أيها الناس . ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عربى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على احمر فضل الا بالتقوى » ، وبلغهم قول ربه فيما أوحى اليه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . وقوله جل شأنه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. » .

ولم يكن هذا المبدأ أو غيره من المبادىء الانسانية التى جـاء بها الاسلام ، ولم يسبقه اليها قانون حضارى لم تكن مبادىء نظرية ، ولكنها كانت أوضاعا عملية ، فقد خضعت رقعة فسيحـة من المعمـورة للحكم الاسلامى ، شملت أجناسا مختلفة والوانا متباينة ، وعاش الجميع فى ظل الحكم الاسلامى إخوانا متحابين ذابت من بينهم فوارق الجنس واللـون والطبقية المتحكمة ، وانما كان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ،

وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى لـــه سائر الجسد بالحمى والسهر .

كان هذا المبدأ واقعيا اذا فى حياة الجماعة المسلمة التى طبقت حكــم الاسلام وخضعت لنظمه وتعاليمه ، وسرعان ما عم أوطانا كثيرة دخلها الاسلام بنوره قبل أن يدخلها المسلمــون بسيوفهم ، وسرعان ما انتشرت الدعوة الاسلامية ، وساد المسلمــون العالم بالقيم الخلقية ، والمبادىء القانونية العادلة ، ونشروا العلم والمعرفة وحافظوا على التراث العلمى ، وكانوا كقائدهم الاول ، ومعلمهم الذى يقتدون به وينهجون نهجه ويتمثلون بـــه ، ان انتصروا لم يبطرهم الظفر ، وان كانت الاخرى لم يبتئسوا ولم ييأسوا ، فهم فى الحـــالين منتصرون على أنفسهم ، لانهم أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه الذين صاغهم من معـــادن العرب رجالا ونساء قدمهم الى الدنيا كلها .

* * * *

ان الدين الذى جاء به هذا الرسول الكريم منهج الهى للحياة البشرية ، وقوة بناءة وحركة دافعة الى النمو المطرد وانطلاق الى الحركة ، وهـــذا المنهج يتم تحقيقه فى حياة البشر بجهد البشر أنفسهم ، وفى حدود طاقتهم ، وفى حدود الواقع المادى للحياة الانسانية فى كل بيئة ، ولا يتحقق بمجرد ابلاغه للناس وبيانه لهم ، وانما بالعمل على مقتضى تعاليمه ، عمل العقل ، وعمل البدن .

وعمل العقل يكون بفهم نصوصه والتعرف على مقاصده فى ضوء واقع الحياة الذى جاء هـــذا الدين مسايرا لمصالـــح الناس الحقيقية لا التوهمية ، وهذا يقتضى التزود بالعلم والمعرفة ، ومن أجل ذلك وجه الاسلام الى العلم والتزود بـــه فى أول آية نزلت من القرآن جميعه ، اذ يقول جل شأنه « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وعمل البدن بالمشى فى مناكب الارض ابتغاء للرزق واستثمار كل ما فيها من خيرات يقول الله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخـــرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض » . فقد قرن الله العمل بالعبادة ونبه الى أنه لا ينبغى أن يصرف التوغل فـــى العبادة الناس عن أمور معاشهم وشئون دنياهم يقول سبحانه جل شأنه : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » .. فربط الرزق بالسعى فى طلبه والعمل من أجله ، وان حرص الدين الاسلامى على العمل لمن أهم ما يتجلى فى توجيهاته الرشيدة وتشريعاته الحكيمة فقد كلفنا الله بالعمل والضرب فى الارض لعمارتها فى آيات عديدة ولقد كان الرسول نفسه مثلا أعلى فى الكفـــاح والسعى ، وكان يشـــارك أصحابه فى الشـــئون العامـــة حين يتحركون ويقول صلوات الله عليه فيما يروى عنه : « اطلبوا الرزق فى خبايا الارض » ويقول : « لان يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعــه » وكان أبو بكر يتعيش من حرفته فى صدر خلافته وكان عمر يقول : مـــن كان لـــه مال فليصلحه ومن كانت له أرض فليعمرها ولا تؤخروا عمل اليوم الى غد »

وصدق الله العظيم : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

* * * *

اخى القارىء الكريم : أعتقد انه من واجبى ونحن فى هذه الذكرى العطرة — التى يجب الا يختص بها هـذا الشهر وحده ، وانما ينبغى أن تكون حاضرة وماثلة فى الاذهان دائما — أن أقدم شيئا من المثل العليا فى صفات الرسول واعماله لنعمل على منوالها فى حياتنا ما أمكن ، وشيئا عن الرسالة التى حررت الانسان من الاستعباد والظلم والطغيان .

أولا : من صـفات الرسول وأعماله :

١ — خلقه ومظاهر السلام فى حياته : كانت مثالية النبى صلى الله عليه وسلم فى الخلق الرفيع أكبر حافز لاصحابه أن يتنافسوا فى القرب من معانيه العظيمة الكريمة . وسألوا عائشة رضى الله عنها وعنهم عن خلقه فقالت « كان خلقه القرآن ، يحل حلاله ويحرم حرامه ، ويقف عند حدوده »، ولقد صدقت فيما وصفت ، فقد كان القرآن رضاه وسخطه ، به يصادق وفيه يعـادى ، وقد جعل صلوات الله عليه نفسه المثل الاول فى مظاهر التحرر الاسلامى ، فكان ينهى أن يعظموه فيقول : « لا تعظمونى كما تعظم الاعاجم ملوكها » وكان من الآثار العامـة لهذا الخلق : أن ألغى الفوارق فى مجتمعه وحاربها ، فقوى المجتمع الاسلامى قوة ناهز بها جميع الامم .

واذا كان السلام هو الامان ، وكانت الوسيلة اليه تأليف القلوب بكف الاذى تارة والاحسان تارة أخرى ، فقد كان رسولنا الكريم النمط الاعلى والغاية التى ليست وراءها غاية فى ذلك المعنى ، فهو الذى قال له جبريل وحى السماء : ان الله كلفك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقد روى ابن عباس أن المنافقين كانوا يؤذون النبى ، وكان كلما أذن له فى التشـديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة ، فكـان يستغفر لهم حتى أنزل الله قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، ولقد وضعت له احدى اليهوديات السم فى الشاة التى قدمتها له طعاما فى المدينة فما حاول أن ينتقم منها ايثارا للسلام .

وكذلك من تتبع سيرته مع زوجاته وجـد ايثاره للسلام حافا بـه ومسيطرا عليه فقد روى انهن شغبن عليه فى بعض المناسبات . فما زاد على أن أعتزلهن حتى يثوب اليهن رشدهن دون خصومة ولا ايذاء ، فلا غرو أن تصفه السيدة عائشة بقولها : « لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا يجزىء السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح وما ضرب بيده شيئا قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا أن يضرب فى سبيل الله ، ولا سئل شيئا قط فمنعه الا أن يسأل مأثما ، ولا انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمات الله » .

روت كتب السيرة أنه حين أخرج من مكة الى الطائف ، وأغرى به أهل الطائف سفهاءهم وصبيانهم على رميه بالحجارة حتى أوجعوه وأدموا

قدميه ، وقف يدعو الله قائلا : « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » فأرسل الله اليه ملك الجبال يقول له : ان الله أرسلنى اليك لأكون طوع أمرك فان شئت طبقت عليهم الاخشبين — وهما جبلان يحيطان بمكة — فأهلكتهم جميعا . فقال عليه السلام : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا » . فانظر كيف آثر الرحمة والسلام وهو فى أشد حالات الضنك . أليس هو القائل : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده .

وما يدل على أن الرسول عليه السلام عرف بين قومه وأعدائه بحبه للسلام ما روى أنه وقد عـاد هو وأصحابه من بعض الغزوات ، ونزلوا فى بعض الطريق ليستريحوا من أعباء الجهاد والسفر . فتفرقوا وكان النبى نائما وحده تحت شجرة فأتاه بعض المشركين خلسة ، وأخذ سيف النبى فهزه فى يده ليقتل به النبى فاستيقظ الرسول وهو على ذلك فقال لـه المشرك : من يمنعك منى يا محمد ؟! قال : الله . فارتعدت فرائص الرجل ووقع السيف من يده . فأخذه النبى وقال للرجل من يمنعك منى ؟ فقال يا محمد : كن خير آخذ . فعفا عنه .

وانظر اليه حينما دخل مكة فاتحا منتصرا وخافه المشركون من أهلها لانهم آذوه وعذبوه وأخرجوه منها لكنه جمعهم وقال : يا معشر قريش ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

جاء محمد رسول سلام ينادى به ويحرص عليـه ، لكنه السلام العادل ، والعدل المسالم ، فاذا ما تهـدده البغى هب للدفاع لا يرجو الا النصر او الشهادة ، ويتحدى خصومه فى ساحة الحرب ، وما ذلك الا لان الاسلام حينما يدعو الى التسامح والسلام ، انما يدعو اليـه فى عزة اذ حينما يكون فى مركز الضعف فانه يكون استسلاما لا سلاما .

٢ — علو همته وبعده عن السفاسف :

جاء فى شمائل النبى صلى الله عليه وسلم أنه اذا أوى الى منزله جزأ وقته ثلاثة أجزاء . جزءا لله ، وجزءا لأهله وجزءا لنفسه . ثم جعل ما لنفسه قسمة بينه وبين الناس ، فيعلم خواص أصحابه ما ينقلونه الى عامتهم ، وان كان صلوات الله عليه يعلم الجميع اذا خرج اليهم فلا يدخر عنهم شيئا .. ويقول الامام على : انه كان من مسلكه فى جزء أمته الذى خصصه لهم ايثار أهل الفضل بالاذن لهم بالدخول عليه فيعطى كلا منهم ما يناسبه من العلم ، وكان يتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم ويصلح الأمة معهم ، فكان يقول لهم : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته ، فان من أبلغ سـلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة » لا يذكر عنده الا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، فيخرجون من عنده أدلة على الخير اذ كان صلوات الله عليه كما يقول الامام على : يحفظ لسانه الا فيما يؤلفهم ولا ينفرهم ، ويحسن الحسن ويقبح القبيح ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا .. لكل حال عنده عتاد ، وفى هذا ما يدل على ما كان عليه النبى صلوات الله عليه من الجد والصراحة ، وعلو الهمة والبعد عن الدنايا والسفاسف ، كان حاذقا يحترس من الناس من غير أن يتجهمهم .

وكان على جانب موفور من الذكاء وقوة العقل ، وكان لذلك أثره

الواضح فى توجيه الانظار الى الاسلام بالتقدير والاقبال ، فكان يسع الناس بحلمه وكرم نفسه ..

وقد كانت مقدمات الهجرة آيات بينات على صدق تلك العبقرية فقد تخير فيها من يبيت مكانه ، وتخير فيها من يصحبه ، وتخير فيها غارا يختبىء فيه فى الطريق المضاد لمهجره ، وتخير فيها من يروحون ويغدون بين الغار ومكة ، كما كان اعداده لفتح مكة وتكتمه حتى بالنسبة لجنده وقواده وجهته ، وتكتيكه العسكرى لذلك وتوزيع قواته عند الهجوم لأكبر دليل على ذكاء متوقد وقدرة فائقة فى علو الهمة .

أنظر اليه وهو يضع أسس الوحدة بين من آمنوا به حتى أصبح الواحد منهم يؤثر أخاه المسلم على أهله وعشيرته المخالفين له فى العقيدة ، فالمسلمون جميعا يخضعون لاله واحد لا شريك له ، ويتجهون له فى صف واحد لا تمايز بين أفراده ، والى قبلة واحدة وهدف واحد ، والجميع يتعاونون فيما بينهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يتوفر على العبادة بما لا يطلبه من اتباعه ، ويملأ كل فراغه بطاعة الله والانابة اليه والخشوع بين يديه ، ويسأل الله أن يعطيه العون على شغل ما استطاع من وقته بالعبادة ، وأن يحفظه من التورط فيما لا يرضيه ، وكان فى كل أوقات حياته منيبا الى ربه لا يغفل عن ذكره ولا يشتغل بغير مرضاته والاتجاه الى ذاته ، ولهذا كان يمده الله سبحانه بخير مدد يقوى هذه العناية وهو لقاء جبريل معه ومدارسته القرآن فى شهر رمضان .

ومع حرصه صلوات الله عليه على اليسر له ولأمته فانه كان أحيانا يختص نفسه بمواصلة الصوم زيادة فى الرياضة النفسية الملائكية .. روى الشيخان عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم الوصال رحمة بالناس . فقالوا : انك تواصل ؟ فقال : انى لست كهيئتكم انى يطعمنى ربى ويسقين » .

* * * *

هذه مقتطفات سريعة نعرضها فى هذه المناسبة من صفات الرسول وأعماله وما أجملها وأكثرها نكتفى بها حتى نجد مجالا فى هذا المقال لما وعدنا به من الاشارة الى بعض ما جاءت به الرسالة من ثورة اصلاحية على النظم الفاسدة ..

ثانيا : دعوة الاسلام :

كانت دعوة الاسلام ثورة اجتماعية على الاوضاع الظالمة ، والنظم الفاسدة التى أشاعت فى الناس الانحلال الخلقى فأوغلوا فى الشهوات بلا عفة ، واندفعوا وراء الملذات بلا ضابط ولا حاجز الا سلطان المقاومة الجائرة بكل ما يتصور من وسائل العنف والقسوة . فقد كانت هذه النظم الفاسدة فى التعامل وفى سائر الصلات ، والتفاوت الواسع بين

الناس فى الحقوق والواجبات أمرا شائعا فى كثير من بلاد العالم .

فلما بعث الله محمدا برسالة الاسلام .. قضى بالحكمة والموعظة الحسنة على ذلك الفساد شيئا فشيئا حتى اجتثه أولا فى أمته من جذوره عندما أخذت بتعاليم هذا الدين ، فثار بدعوته على البغى والطغيان ، وعلى الخيانة والكذب ، وعلى التعالى والتعاظم ، وعلى التفرقة بين الناس : الافراد والجماعات ، اذ جاء بالعدل الكامل ، والامانة التامة ، وحث على الصدق وأوجب التزامه فى كل شىء ، وحارب الفوارق الطبقية الواسعة ، ودعا الى التعاون والتآزر ، وجعل للفقير حقا فى مال الغنى يقوم بأوده ويطهر قلبه من عوامل الحقد والغل ، فاستقام النهج وامتلأت قلوب المسلمين حبا وخيرا ، واستحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس ..

ومما ضرب به رسول الله المثل فى رفع رؤوس المسلمين وتحريرهم من ربقة الذل والاستعباد ، أنه وقعت خصومة بين أبى ذر وبلال ، وكان أبو ذر موسرا صاحب مال وجاه ، وكان بلال فقيرا لا مال له ولا جاه ، فكان مما جرى فى تلك الخصومة أن عير أبو ذر بلالا بقوله : يا ابن السوداء ، فلما سمع النبى ذلك تغير وجهه وقال : « طف الصاع ، طف الصاع . أعيرته بأمه ؟! انك امرؤ فيك جاهلية » . ثم انتهز هذه الفرصة فقام خطيبا بين أصحابه لينبه الى حق بلال وأمثاله من وجوب تكريمهم ومساواتهم للآخرين ، فكان مما قال : « اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم ، فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم » .

حرصت رسالة الاسلام على رد الانسان الى فطرته التى فطر الله الناس عليها ، واخضاعه لربه ، فالتوحيد هو المعنى الاول الذى اذا تمكن من النفوس ذاقت طعم التحرير ولم ترض ربا غير الله ، وهو المعنى الذى يشع فى العقول بأن الناس سواء فى الانسانية ، ولهذا قرن بهذه الدعوة الموحدة رفع آصار التعظيم لغير الله أيا كان قدره ، يقول جل شأنه : « اياك نعبد واياك نستعين » فلا معبود غير الله ، ولا مستعان سواه ، فمن عبد غير الله ولجأ اليه فهو مفتر على الله الكذب ، ومن استعان بسواه فهو خارج عن نطاق الدعوة المحمدية .

ولقد كان من ثمرات ذلك التحرر الكريم أن سوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات على الجملة ، ورفع من شأنها وخاطبها بما خاطب به الرجل من تكاليف وعبادات ، بعد أن كانت مغلوبة على أمرها ، مهضومة الحق تعتبر ميراثا ضمن تركة المورث فى بعض الجماعات .

نعم ، لقد ساوى الاسلام بينهما ، وما وجد فى بعض أحكامه من فوارق يسيرة نشأت عن اعتبارات خاصة ، فان كان نصيب الذكر فى الارث ضعف نصيب أخته ، فلأنه هو المنفق عليها وعلى أولادها منه .. كما قاوم الرق بكل صور الاسترقاق لأن ذلك الرقيق المستعبد ان هو الا انسان فيه طاقات الانسان ومزاياه ، ومن انحرف عن تقديره وتكريم انسانيته فقد انحرف عن الاسلام ، ولولا أن الرق كان نظاما دوليا لما أقره الاسلام ولما اعترف به حتى فى الحد الضيق الذى قصره عليه معاملة بالمثل فى الحروب ..

ونظم حياة الأسرة وجعل للزواج حدودا يرعاها كل من الزوجين وجعل القوامة للرجل ، وجعل أساس الزواج الواحدة ، وأباح التعدد فى نطاق معين اذا ما وجدت الحاجة اليه مع القدرة وتحقق العدالة ، وذلك لاعتبارات تقتضيه وتتطلبه . ورأى الاسلام أن تحل مشاكل الاسرة بأيدى أفرادها وفى دائرتهم الضيقة كما يقول الله سبحانه : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن » فاذا لم يجد ذلك واستعصى الامر استعانوا بأقربائهم يقول الله : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » . كما بين حقوق الاولاد وواجباتهم ، وما تتطلبه صلة القرابة عموما من واجبات وحقوق .

ونظم الارث نظاما محكما فترك للشخص حق التصرف فى تركته وفى حدود الثلث ، ووزع الشارع الحكيم الباقى بين الاولاد والاقارب وأحد الزوجين ، وأمرنا باتباع حدوده فى هذا وقال : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما » . .

* * * *

وهكذا فقد وضع الاسلام للاسرة من القواعد والنظم ما يحفظ كيانها ويؤمنها الزلل ويجنبها الهزات العنيفة ، ان أحسن الناس فهم دينهم ، وأخلصوا النية عند تطبيق أحكامه ، كما نظم علاقات الافراد والجماعات فى السلم والحرب فى جميع شئونهم ومختلف الحياة بينهم — وجاء فى كل هذا بالمبادىء الثورية القويمة التى هدمت الفساد والظلم ودعت الى ما فيه صلاح الانسانية ورقيها ، فكانت دعوة الاسلام ثورة كبرى ، مصلحة لجميع النظم ، مقومة لكل زيغ فى العقائد والاخلاق والصلات والمعاملات ، وكانت ثورة محققة لأن يعيش الناس جميعا فى أمن ورخاء وفى هدوء واستقرار .

ومع هذا فكانت ثورة لا توجب بغيا ولا ظلما ، ولا توقع الناس فى عدوان ، ولا غرو فهى دعوة الحق بوحى من الله الذى لا تخفى عليه خافية وهو أعلم بعلل الناس وأمراضهم فهو خير مرجع وأفضل متبع .

* * * *

وبعد . . فما أجدرنا أن نذكر وأن نتذكر أن حياة هذا الرسول الكريم وهداه لم يخل كلاهمـــــا من عبرة ومن تذكرة ، ومن درس خالد يذكره المسلمون دائما ويهتدون بهديه صلوات الله عليه فهو نبى السلام ونبى الجهاد ، الذى رسم لنا سبيل الحياة وسبيل الدفاع عن حق الحياة ، بدأ البناء على أساس عقيدة صلبة ثم أرسى فوق هذا البناء صرح الاخلاق ، فكانت دولة الاسلام قوية بالحق ، فياضة بالعدل ، محمية بســـــلاح الايمـــان . .



للاستاذ : عبد الستار محمد فيض

من حيـــــاة الرسول
(صلى الله عليه وسلم)

دراسة فى كتاب تتناول جانبا هاما من حياة النبى صلى الله عليه وسلم اعتمدت على مصادر مشهود لها بالثقة والتحرى والدقة وتقدير المسئولية فى نقل الاحداث وتدوين الاخبار ، والكتاب يتعرض للفترة التى قضاها النبى عليه السلام قبل البعثة وقد عرض الغزوات فى أسلوب سهل وعبارات يسيرة وكانت غاية المؤلف فى هذه الدراســة ألا يقتصر عمله على الرد الموضــوعى المجرد لحوادث الغزوات بل تنـــاول كل غزوة فغذى حوادثها بتحليل لبعض زواياها وأضاف اليها تصويرا لبعض أركانها ومشاهدها كما حلل موقف أبطالها بقصد التشويق النفسى وجذب القارىء لمطالعتها فيجد فيها المتعة الذهنية والمتــابعة العذبة ومع ذلك لم يتخل الكاتب عن أساليب كتب السيرة المتقدمة فخرج الكتاب مزيجا من القديم والحديث .

والكاتب هو الاستاذ سعد صادق محمد وكتابه يقع فى أكثر من ثلاثمائة صــفحة والتزم بطبعه ونشره مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى باشا ــ القــاهرة .

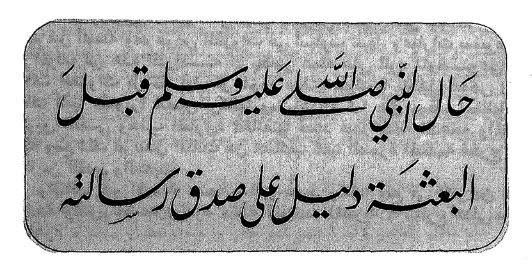
الرسول والرســـــالة
للرد على شبهات الضالين ودرء مفتريات الحاقدين

كتاب من تأليف الاســتاذ توفيق على وهبه يتضمن الرد على كتاب صدر مؤخرا تعرض فى صفحاته للرسول صلى الله عليه وسلم وللقرآن الكريم ولبعض الامور المتعلقة بالرسالة الخاتمة علاوة على بعض الخرافات التى ألصقها مؤلفه بالفاتحين من المسلمين .

ولم يقصد الكاتب بهذا الرد الا بيان الحقيقة ، فضمن كتابه سبعة فصول تناولت تأكيد القرآن والسنة لبشارات المسيح ومعجزة الرسول وكيفية انتشار الاسلام وتحويل القبلة وحروب الردة وغير ذلك من الامور التى تعرض فيهــا الكتاب المذكور للرسول وللاسلام وللمسلمين فخرج كتاب (الرسول والرسالة) ليفند تلك المفتريات والمزاعم ويبين للعالم بطلانها وفسادها .

والكتاب ما زال تحت الطبع ونأمل أن يكون بين أيدى القراء قريبا ..





د. وهبه الزحيلى

ان ينبوع احترام الانبيــاء والعظماء كامن في خصــائص شخصية ومقومات ذاتية ، والتزام بقيم عالية ، يعتبرون بها قمة المثل العليا ، وخير أسوة حسنة أخرجت للناس ..

وان مقياس تقدير الرجال والزعماء الخالدين فى أذهان الناس قاطبة مقياس حساس يتجلي فى مدى الاحترام الذى يكنه السامعون لكلامهم ، وفى ميدان الاعمال البارزة التى تصدر عنهم أثناء مراقبة تصرفاتهم وسلوكهم عن كثب ..

ثم ان نجاح القادة فى مهماتهم أمر نسبى ، فغالبا ما يتخلل تاريخهم

حيث تجعل رسالته

عثرات قد تكون بعيدة الأثر فى حياة بلادهم ، واذا نجحوا أحيانا فى تحقيق نصر ما ، فانتصارهم اما مؤقت أو مقيد بناحيـــة معينة أو فى مكان خاص ، وقلما يحصل الفوز فى كل نواحى الحياة .

ويمتاز الانبيـــاء فى كل ذاك بأنهم طراز من نوع خاص يفوقون به كل أوصاف العظمة والتفوق لدى الابطال والقادة ، اذ ما من عظيم أو بطل ، ولو كان عبقريا أو مفكرا مبدعا الا وله هنات أو معايب تنقص من قدره ، كارتكاب بعض الزلات أو الاخطاء ، أو الوقوع فى كبوات فكرية ، أو السير فى سلوك شائن فى مسيرة قافلة الحياة التى يحياها .

أما الانبياء ــ بتكوين الله ورعايته لهم ولو قبل النبوة ــ فلا نجد منهم اطلاقا ما يعد كبوة فكرية أو زلة اعتقادية تصبح يوما ما مستمسكا للشماتة والتعيير ، أو محلا للنقد والتشهير والتكذيب . وما قد يقع من نبى من وقائع مادية خاطئة فى الظاهر قبل النبوة ، فهو لا يصدر عن تصميم وسابق اصرار وتفكير ، وانما يعد اجتهادا خاطئا أو اختيارا لأحد أمرين مأذون فيهما ، لكن أحدهما أفضل من الآخر فى تقدير الاله الحكيم .

وكذلك نجاح الانبياء ولاسيما رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه ، كان عاما وشاملا جميع مناحى الحياة لوجود وحدة منهجية متكاملة لديهم فى العقيدة والاخلاق والمعاملة الطيبة والسلوك الشريف .

وأنموذج الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى ولد منذ أربعة عشر قرنا وشهور ثلاثة يعتبر مثلا فذا واضحا للاستدلال بمنهج حياته قبل البعثة على صدق رسالته التى اصطفاه الله لتبليغها للنـــاس ، وكان لذلك آثاره النفاذة فى اقناع اتباعه بدعوته ، والثقة بأقواله كما سيظهر لنا من خلال الامثلة التى سنذكرها من أقوال وكلمات خصومه أو عقلاء العرب فى الجاهلية عندما بدأ بدعوته .

ففى حياة النبى صلى الله عليه وسلم من الميلاد الى البعثة مظهر حى يدعونا الى الثقة برسالته متمثلا ذلك فى يتمه ، وأميته ، وكثرة تأملاته فى الكون ونفوره من عادات قومه الســـيئة ، وشخصيته القوية ، وســمو أخلاقه ، وتميز سلوكه ، ورعاية الله له ، ونحو ذلك ، مما جعله يبلغ مرتبة الكمال الانسانى التى لا تكون لغير نبى مرسل معصوم مصـــدق فى ادعائه الرسالة ..

أما معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة الدالة على صدق نبوته فكثيرة معروفة ومحلها بحث آخر ، من أهمها ما أيده الله به من وحى القرآن الكريم الذى نجد فيه ذلك التحدى الخالد الموجه لا لكل انسان

فحسب ، بل للانس والجن معا للاتيان بمثله أو ببعض مثله أو بآية : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، لأنه ليس كلام بشر ، وانما هو كلام الخالق الذى لا يضارعه أحد ، ومن أروع صفاته تأثيره العجيب فى نفوس سامعيه ، واشتماله على وحدة خفية عميقة بعيدة المدى سواء فى ترابط سوره أو فى ضمن السورة الواحدة التى قد يذكر فيها عدة موضوعات تكمل بعضها بعضا فى سبيل غاية كبرى وان تراءت فى الظاهر مفككة المعانى بعيدة عن الوحدة المنطقية لدى بعض المستشرقين السطحيين الحاقدين ، مثل كارليل وموير وأرفنج ومرجليوث ونحوهم من شبابنا المثقف الذين اغترفوا من بؤرهم الخبيثة فصاروا كفارا أمثالهم .

فبالاضافة لهذا التأييد الحاسم الكلى من الله لرسوله بالمعجزة الخالدة التى جعلته ليس فى ذروة البطولة فقط ، بل هو الرحمة الكبرى المهداة للوجود كله ، نرى فى شباب النبى صلى الله عليه وسلم ومولده أمثولة الاعجاب : فقد حفظ الله له طيب المحتد ، وكرامة المنشأ والمعدن والاصل ، فقال عليه السلام عن نفسه ونسبه : « ان الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار » وكان يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى » وأبان صلى الله عليه وسلم مرة أخرى عن نفسه ودوره بالنسبة للانبياء السابقين ، وصلته بهم بعد أن سئل عن ذلك فقال : « أنا دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام .. » .

وكان اليتم وحرمانه ، وشظف العيش وقسوته ، وهواء الصحراء وخشونة عيش البادية ، رفيق النبى صلى الله عليه وسلم فى طفولته حيث انه فقد أباه عبد الله وهو جنين كما يقول ابن هشام ، أو هو ابن شهرين أو أكثر كما يقول أكثر العلماء ، وتوفيت أمه آمنة وهو ابن ست سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، وكانت مرضعته فى الصحراء حليمة السعدية ضعيفة الحال ، الا أنها كانت تحدث أنها وجدت فى رضيعها محمد منذ أخذته أى بركة .. سمنت غنمها ، وزاد لبنها وبارك الله لها فى كل ما عندها ، ولكن هذا اليتم وقسوة الحياة كان منبت أعظم الرجال ، والمثل الاعلى للعظماء والانبياء معا .

وذلك بالرغم من كونه عليه السلام نشأ أميا لا يقرأ ولا يكتب كشأن قومه الأميين الذين كانوا يجهلون عقائد الملل الاخرى ، وتواريخ الأمم وعلوم التشريع والفلسفة والادب ، حتى يتهيأ للوحى الالهى الذى يلقنه تشريع السماء الكامل العادل دون أن يكون له دور أساسى فى استنباط شىء بعقله ، أو ايجاد تشريع بفكره ، أو كتابة شىء بقلمه الا ما يأتيه به الوحى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » ، « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، « فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فأمية هذا النبى لم تمنعه بواسطة الوحى من تغيير وجه الحياة رأسا على عقب ، وقلب الأمة العربية الأمية ، الى أمة تتسنم أرقى مدارج العلم والمدنية والحضارة ، بعد أن كانت

غارقة فى حمأة الهمجية والخرافة والرذيلة ، أو قابعة فى أوضار الوثنية المتردية ، والعقول المشتتة بين أصنام عدة تمثل آلهة متعددة .
ولقد أحسن البوصيرى رحمه الله تعالى ، اذ عبر عن معجزتى اليتم والأمية فقال :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة   فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وتتجلى عقلية النبى الشاب الكبيرة فى شدة كراهيته للأوثان ، ونفوره من عادات قومه السيئة ، وعبادة الأصنام وكثرة تأملاته وتفكيره فى الكون ، وانقطاعه للعبادة أو التحنث فى غارحراء — على فرسخين من شمال مكة — فذلك كله أكسبه دقة نظر ، وحصافة عقل ، وارهاف ذوق ، وسلامة فطرة ، وقوة غذاء للقلب والروح ، وطاقة فكرية مجردة مستقلة هيأته لمنصب النبوة الأسمى ، ومركز الرسالة الاعلى للتبليغ عن الله شرعا دائما ، وسنة كاملة ونظاما بديعا الى آخر الدهر : جوهره الايمان بالله وحده ، وعبادة الخالق الاعظم ، ورفض الأوثان ، والكفر بالطاغوت والشرور والآثام ، واعلان هذا النداء الخالد : « يا أيها الناس قولوا : لا اله الا الله تفلحوا » .
ومن أجل تحمل أعباء الرسالة الالهية والاعداد لنشر الاصلاح العام ، كان النبى صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى للشخصية القوية صاحبة الارادة الشديدة فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وتحمل شتى ألوان الاضطهاد ، والتعذيب من قومه وعشيرته ، وارتفع فوق الاحداث حتى استطاع تغيير الطبائع المعوجة ، واصلاح الاخلاق الشاذة ، وانارة طرق المثل العليا ، والنهوض بأمته الى مستوى أعلى ، والدفع بقومه نحو التقدم والرفعة . .
وقائد كمحمد صلى الله عليه وسلم جدير بأن يكون فى سبيل نشر دعوته مثلا فذا للانسانية ، ومحبة الآخرين والاخلاق الرفيعة ، لذا وصفه الحق تبارك وتعالى بأشرف صفة فى الانسان ، فقال عنه : « وانك لعلى خلق عظيم » ووصفه الحسن بن على رضى الله عنهما بقوله : « كان الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم أشد الناس زهدا وقناعة ، ليس بمتكبر ولا متجبر ، رءوفا رحيما ، كريما حليما ، صادقا أمينا ، شجاعا مقداما ، جامعا لكل محاسن الصفات البشرية ومكارم الاخلاق الادبية » .

وقد بوأته هذه الاخلاق الكريمة أن ترضي به معشر قريش حكما فيمن يضع الحجر الاسود ، قال أبو أمية بن المغيرة المخزومى . يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضى بينكم فيه ، ففعلوا فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد . واتصافه بلقب (الامين) كان حجة قوية ودليلا واضحا على صدقه بادعاء الرسالة من عند الله ، كما أن اتجارة بمال خديجة — رضى الله عنها — الى الشام وربحه الوفير ورعيه الغنم كان دليلا على عزة نفسه وعلو همته ومقدرته ورقة شمائله ، وجمال نفسه مما لا يصدر الا عن شخصية خاصة يدمغها خاتم النبوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبى الا وقد رعى الغنم » قيل : « وأنت يا رسول الله ؟ » قال : « وأنا » .

وكانت رعاية الله ترعاه فى حياته « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وكان من ارهاصات نبوته ملء قلبه بالحكمة بكيفية مادية ، حدثتنا عنها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس لنا الا تصديق ما جاء فيها لصحة خبرها وترك ظاهرها الى الله سبحانه ، وهو حادثة شق الملكين صدر النبى صلى الله عليه وسلم حينما كان طفلا صغيرا فى بادية بنى سعد فيما ذكره ابن هشام وتأيد ذلك مرة أخرى قبيل الاسراء فيما أخرجه مسلم(١) عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فأتيت بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فشق من النحر الى مراق(٢) البطن فغسل بماء زمزم ثم ملىء حكمة وايمانا » .

هذه الالوان وغيرها من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت مدعاة لقبول دعوته وأثرت فى مشاعر الناس ، فمهدت لتصديق رسالته ، وامارات ذلك تتضح فيما يأتى :

١ ـ قال الراهب بحيرى لعمه أبى طالب فى بصرى الشام أثناء تجارته لخديجة : ارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده ..

٢ ـ وقال ورقة بن نوفل حينما بدىء النبى بالوحى : لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبى هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر هذا زمانه .

٣ ـ قالت خديجة بعد أن أخبرها النبى صلى الله عليه وسلم ببدء الوحى : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

٤ ـ قال رجل عائف(٣) من لهب من أزد شنوءة حينما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الغلام : على به » . فغيبه عنه عمه أبو طالب فجعل يقول : « ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن » .

٥ ـ حينما أراد النبى صلى الله عليه وسلم الجهر بدعوته التى ظل يدعو قومه اليها سرا ثلاث سنين خرج الى البطحاء فصعد الصفا فنادى (يا صباحاه) فاجتمعت اليه قريش فقال :

« أرأيتم ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا . فقال : انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فسخر به جماعة ، وآمن به آخرون متذكرين صفاته السامية طوال عمره الاربعين سنة فيهم ، وكان أبو جهل يقول : « انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به » .

٦ ـ قال كاهن جنب من مذحج بطن من اليمن لقومه حينما طلبوا منه

النظر فى أمر هذا الرجل — رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل » .

٧ — قال الوليد بن المغيرة عن القرآن بعد أن نفى نفر من قريش عن النبى صلى الله عليه وسلم صفة الكاهن والمجنون والساحر : « والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق(٤) وان فرعه لجناه ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل » .

٨ — قال عتبة بن ربيعة لاصحابه : « انى قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به .. » .

٩ — نصح النضر بن الحارث قريشا بالتدبر فقال : « يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم » .

١٠ — قال الجلندى ملك عمان عندما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام : « والله لقد دلنى على هذا النبى الأمى أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شىء الا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد ، وينجز الموعود ، وأشهد أنه نبى » ..

وهكذا كانت مراحل حياة النبى صلى الله عليه وسلم سواء قبل البعثة أم بعدها حلقات متكاملة تتآزر عراها مؤيدة صدقه فى رسالته وانتصاره فى دعوته حتى عد أعظم الانبياء والمصلحين الدينيين نجاحا لأنه أحدث فى عصره تغييرا شاملا فى كل نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية ، لم يشهد له العالم نظيرا أو شبيها فى التاريخ .

---

(١) راجع شرح مسلم للنووى : ٢٢٣/٢ — ٢٢٦ .

(٢) وهو ما سفل من البطن ورق من جلده ..

(٣) العائف : الذى يتفرس فى خلقة الانسان فيخبر بما يئول حاله اليه .

(٤) العذق : النخلة ، يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها ، وقوى وطاب فرعها اذا جنى .

مشاعر أسيفة في ذكرى المولد :

يا للرجال

محمود مؤذن

الله جلّ جلاله، ربّى محمداً ليربي به العربْ
وربّى العربَ بمحمّد ليربي بهم الناسْ

بغير دين



للشيخ محمد الغزالى

أحيانا يقترف الناس فى جنب الله سيئات يظهر فيها جهلهم بـه ، واجتراؤهم عليه ، وينكشف فيها ما فاتهم من خشوع وأدب ، فيكون تعليق القرآن الكريم على هذا النوع أو العوج المنكور « وما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز » أو ما أشبه ذلك من التعليقات التى تبرز بعد الشقة بين ما يجب لله ، وما يقع من الناس .

والنقائض فى أفعال البشر كثيرة ، ولعل أخسها بعد الاساءة الى الله ما يلقاه محمد صلى الله عليه وسلم من جماهير العرب فى هـذا العصر الأنكد . ! انهم ما أحسنوا الى تراثه ، ولا قدروه حق قدره ، ولا غالوا بشرف الانتساب اليه عندما ابتلوا بالتقصير فيه !! بل وجد فيهم من يريد العيش بعيدا عن رسالته زاهدا فى دعوته . .

ولما كان الله قد ربى محمدا ليربى به العرب ، وربى العرب بمحمد ليربى بهم الناس ، فان معنى التجهم لمحمد وتراثه أن العرب ينتحرون فى الميدان العالمى ، وأنهم يحاولون أن ينأوا بأنفسهم فى ركن من الارض فقير من عناصر الشرف والسيادة ومقومات الحق فى الدنيا والآخرة . . !!

اننى أسأل نفسى بالحاح فى هذه الايام العجاف : هل يشعر العرب بأن محمدا : مرسل للعالمين ؟ وأن هذه (العالمية) فى دعوته تفرض عليهم بعد اذ عرفوه أن يعرفوا الناس به ، وهم عندما يعرفون الناس به لن يصفوا لهم ملامحه الشخصية وانما يشرحون لهم رسالته الآلهية .. !!

لكن عرب اليوم لا يقدرون محمدا قدره ، ولا يخلفونه بأمانة فى مبادئه وتعاليمه ، ولا يحسون قبح الشبهات التى أثارها خصومه ضده ، بل هم — علما وعملا — مصدر متاعب للاسلام ونبيه الكريم ، وشاهد زور يجعل الحـــكم عليه لاله !! قد تقول : حسبك حسبك ، ان الناس بخير ، ومحبتهم لرسولهم فوق التهم فلا تطلق هذه الصيحات الساخطة فما تحب الجماهير أحدا ، كما يحب أتباع محمد محمدا ..

وأقول لك : سوف أغمض العين عن ألوف من المتعلمين ضلـــــل الاستعمار الثقافى سعيهم ، وشوه بصائرهم وأذواقهم ، مع أن وزنهم ثقيل فى قيادة الامة العربية فما قيمة الحب الرخيص الذى تكنه جماهير الدهماء ؟

انه حب غايته صلوات تفلت من الشفتين مصحوبة بعواطف حارة أو باردة ، وقلما تتحول الى عمل كبير وجهاد خطير ، والترجمة عن حب محمد بهذا الاسلوب فى وقت ينهب فيه تراثه أمر مرفوض ، ان لم يكن ضربا من النفاق !!

اذكر أنى ذهبت يوما لأحد التجار كى أصلح شيئا لى ، فاحتفى بى وقـــدم بعض الأشربة ، وأفهمنى أنه أتم ما أريد بعد أن وفيته ما أراد ..

ثم شعرت أن عمله كان ناقصا ولا أقول مغشوشا ! فقلت : ليته ما حيا ولا رحب ، وأدى ما عليه بصـــدق ! ماذا أستفيد من تحيـــات لا جد معها ولا اخـــلاص ؟

والشأن كذلك مع أقوام قد تموج أحفال المولد النبوى بهم ، أو قـــد يصرخون بالصلاة على رسول الله فى أعقاب الأذان ، أو قد يؤلفون صلوات من عند أنفسهم يحار المرء فى تراكيبها لاغراقها فى الخيال .

وقد يكون حبهم تمسكا شديدا ببعض النوافل ، وهروبا تاما من بعض الفرائض ، أو حنانا لا ندى معه ولا عطاء كهذا الذى قال له الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت تندبنى   وفى حياتى ما قد مت لى زادا

أى حب هذا .. ان العرب لا يعرفون أى شرف كتب لجنسهم ولغتهم وأمسهم وغدهم عندما أبتعث الله محمدا منهم ، وان التقدير الحق لهـــذا الشرف لا يكون بالسلوك المستغرب الذى يواقعونه الآن ، ومنذ بدءوا يعبثون برسالة الله بينهم ..

لما أراد رب العزة أن يعلن بركته النامية ورحمته الهامية ، اختار فى كتابه العزيز عبارتين مبينتين :

الأولى : تتحدث عن هذه البركة فى مظهر القدرة التى تجمع أزمة الكون فى يده ، فيستحيل أن يغلب يوما على أمـــره ، أو يشركه أحد فى ملكه ، وفى هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير » ..

والثانية : تتحدث عن هذه البركة فى صورة الرجل الذى حمل هداه الأخير الى عباده ، وتفجرت ينابيع الحكمة من بيانه وسيرته ، فكان القرآن الذى يتلوه مشرق شعاع لا ينطفىء ، يهتدى على سناه أهل القارات الخمس ما بقى الليل والنهار . وفى هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ان الانسان المبعوث رحمة للعالمين اشعل الأمة التى ظهر فى ربوعها فانطلقت لاول مرة من بدء الخليقة تحمل للناس الخير والعدل ، واستطاعت أن تؤدب جبابرة الارض الذين عاثوا فى أرجائها فسادا ، وظنوا أن كبرياءهم لن يخدشها أحد !

حتى جاء الرجال الذين رباهم محمد فقوموا صعر المعتدين ، وأعزوا جانب المستضعفين ، وكم تحتاج الدنيا فى يوم الناس هذا الى هذا الطراز من الرجال ليحموا الحق الذليل ، وينقذوا التوحيد المهان ، ويقروا الأخوة الانسانية المنكورة . وينزلوا البيض الى منزلة السود أو يرفعوا السود الى منزلة البيض ..

لكن السقطة الرهيبة للعرب المعاصرين انهم ذاهلون عن المكانة التى منعهم محمد اياها ، هابطون عن المستوى الذى شدهم اليه ، وفيهم من يفتح فمه ليقول : ان العرب يمكن ان يكونوا شيئا من غير محمد !!!

قبح الله وجهك من قائل أفاك ..

ومن ايام جاءنى نفر من العامة متنازعون على ادارة مسجد ، بعضهم يريد فى الاذان أن يقول أشهد أن سيدنا محمدا رسول الله .. والآخر يريد الاكتفاء بالوارد ، فلا يذكر لفظ سيدنا لأنه مبتدع ..

ونظرت الى أعراض المرض الذى يفتك بالأمة المعتلة ، وقلت لهم : ان محترفى الافك من المبشرين والمستشرقين ملأوا اقطار العالم بالافتراء على محمد وشخصه ودينه ، ورسموا له صورة مشوهة فى أذهان الكثيرين وانتم هنا لا تزالون فى هذا الغباء .

ما أشقى دينا انتم اتباعه ، ان المسلمين بين ما ورثوا من جهل ، وما نضح عليهم من ضلال العصر لا يزالون يهرفون بما لا يعرفون .. ان حب محمد يوم يكون لقبا يضفيه عليه الكسالى الواهنون فهو حب لا وزن له ، ولا اثر !! ويوم يكون احفالا رسمية وشعبية بيوم ميلاده ، فهو حب لا وزن له ولا اثر !! ويوم يكون قراءة لكتابه فى مواكب الموت ومجالس العزاء فهو حب لا وزن له ولا اثر ، ويوم يكون ادعاء تستر به الشهوات الكامنة والطباع الغلاظ فهو حب لا وزن له ولا اثر .. لأن محمدا هو الرسول الذى رسم للبشر طريق التسامى الحقيقى ، ورسم للجماعات طريق التلاقى على الحقائق والفضائل ، فدينه عقل يأبى الخرافة ، وقلب يعلو على الأهواء .

ماذا كسب المسلمون عندما حولوا الدين من موضوع الى شكل ؟ وماذا كسب العرب عندما شقوا طريقهم الى المستقبل وهم يطوون اسم محمد وتراثه من نشاطهم السياسى والعسكرى ؟

ان مسلمى الباكستان هزمتهم سياسة امرأة ذكية ماهرة ! ورجالات العرب دوختهم سياسة عجوز شمطاء ! يا للرجال بلا دين !!

* * * * * * * * * * * * * *

اننى ، وآلوفا من المؤمنين نحب محمدا صلى الله عليه وسلم ، ونشعر بما له فى اعناقنا من دين ، وبما أفاء علينا من نعمة ، وبما يجب أن يتوطد له فى الدنيا من سلطان مادى وادبى ، وبالفقر المدقع الذى يعانيه العالم لحرمانه من الرسالة التى اضطلع بها وخلفه فى ابلاغها العرب ، فلم يحسنوا البلاغ .

اننى الوم نفسى ، والوم قومى ويتردد فى نفسى صدى قوله تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

* * * * * * * * * * * * * *

قال لى احد الصالحين : اننا نحيى ربنا جل شأنه ونحن جلوس فى صلوات أليس كذلك ؟

قلت : نعم ، عقب الركوع والسجود ، نهمس وايدينا على الركب التحيات لله . .

قال : ثم نتوجه الى الرسول بالسلام بصيغة المخاطب الحاضر ، نقول ــ وكأن الكلام لشخص قريب منا ــ : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . . !

قلت : أجل ، كذلك نفعل ، على بعد المكان والزمان بيننا وبين الرسول الكريم . . !!!

قال : ان السلام أفرغ فى تلك الصيغة قصدا ، لأن النبى يجب أن يكون حيا فى ضمير كل مؤمن ، يجب ان ينتصب له مثال مرموق فى وعى المسلم اليقظ تتحقق فيه ملامح الصورة الذاهبة !!

وهل تؤخذ الأسوة الواجبة الا من هذا الاستحضار الدائم ؟

لقد مرت أعصار على موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن القيم الرفيعة التى تجسدت فيه ونماذج العبودية لله ، والجهاد فى سبيلـــه والحنو علىٰ خلقه ، وصور الكمال البشرى فى العفاف والعدل والايثـار والمرحمة . تلك كلها معان لم تمت ، وانما خلدت فى كيان هـذا النبى المحمد . .

والمسلم عندما يقول فى صلواته : السلام عليك ايها النبى ورحمـــة الله وبركاته انما يقترب من أمامه الاعظم الذى أمره الله ان يتأسى به ، وان يسعى فى ركابه : ؟

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ..

. . . .

واسترسل الرجل الصالح فى عاطفته المهتاجة ، واخذ يشرح لى ما يعنى قال :

ان الشمس فى رائعة النهار لا تعتبر غائبة عن بصير ، وتستطيع كل مرآة مجلوة الصفحة ان تعكس صورة لقرصها أو لهالتها او لأشعتها ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عالم اليقين والخلق ، شمس لا ينكر لها بريق ولا يغيم لها ضوء ..

والمهم ان يكون لك فؤاد مصقول يستطيع استقبال هذا النور فى حناياه ، والاستهداء به فى دروب الحياة .

ان القدوة الطيبة تقوم على استحضار المثل الاعلى فى الذهن ، ومحاولة السير على غراره فى الخارج ، والائتناس الدائم بهذا المثل الأعلى هو الذى يلهج الألسنة بعد تحية الله تبارك وتعالى بالسلام على رسوله ، سلام « حضور » لا سلام « غيبة » ومن ثم كان كل مصل يقول : « السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباده الصالحين » .

ومحمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معقد الحقائق التى يصلح بها العالم من ازله الى ابده ، والتعاليم التى جاء بها لا يستغنى عنها الاولون والآخرون الا اذا استغنت الأكوان عن نظام الجاذبية وسائر السنن العامة واضطراب الحياة انما يرجع الى تجاهل الهدايات التى جاء بها النبيون ، والتى اتمها واجملها هذا النبى الخاتم وما يثوب الناس الى رشدهم الا يوم يحتفون بهذه الرسالة وصاحبها ويعرفون حكم الله عن طريقه ..

وكان حقا على العالم كله ان يصدق بهذه البعثة العامة ، ولكن العالم تنكر لها وتطاول على رجلها الكبير .

وعندى ان الشفاعة العظمى ، التى جاءت السنن بثبوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم — لا تعدو أن تكون لونا من تأديب البشر كافة على موقفهم السابق من نبى الاسلام ، فان رسول اى عظيم يستحق من التوقير والاعزاز بقدر ما لمرسله من مكانة ، والرجل الذى أرسله رب العالمين .

كان يجب أن يلقى من التكرمة ما يرفع ذكره ، ويعلى شأنه ، غير أن اكثر الناس تواصوا بالصد عنه وجحد دعوته ، ورغبوا عن الحق الذى معه ، وبخسوا قيمته ثم تتابعت الاجيال والخلف فى أغلب بقاع الارض يتوارثون عن سلفهم هذا التكذيب الشنيع ..

ولو نظرت في هذه الالوف المؤلفة من الكنائس والمعابد ، لوجدت داخلها أجهزة منظمة دوارة تعمل في غير ملل لصرف الناس عن الاسلام ونسبة اقبح النعوت الى نبيه المبرا الشريف . .

وكأن الله تبارك اسمه شاء أن يعرف هذه الأمم مدى ما كانت فيه من غباوة ، وان يذيقها شيئا من مرارة الجريمة التى ارتكبتها ، فهو فى ساحة العرض الشامل لأصناف الخلائق يحشر سكان القارات الخمس على مر القرون يحشرهم فى صعيد واحد ، ثم يكشف الغطاء عن عيونهم واذا هم يتبينون فداحة جهلهم بالله الكبير المتعال ، ويتبينون شناعة خصامهم لامام رسله . .

وهنا يموج بعضهم فى بعض ، ويضطربون فى حيرة مفزعة لا يرجى منها خلاص ، وتتحرك جموعهم الى كل نبى سمعوا باسمه فى العالم الذى انتهى ، يناشدونه أن يسأل الله لهم الرحمة ، ولكن النبيين كلهم يرفضون التصدى لهذا المطلب ويعود اهل القارات الخمس متراكضين الى الرجل الذى طالما قيل لهم انه كذاب ، انهم يحسون الآن عن يقين انهم اخطأوا فى حقه ، وانهم يوم صدوا عنه كانوا يخسرون انفسهم واهليهم . . !

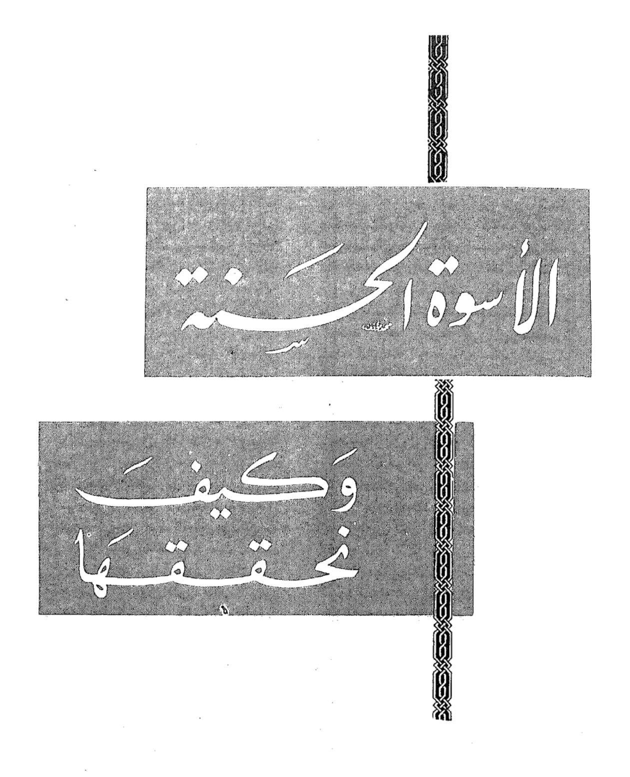
الشفاعة العظمى — فى نظرى — موقف يحاكم فيه التاريخ البشرى كله ، ليعترف ان انصرافه عن الاسلام كان مشاقة لله وعداء لأحب أوليائه وأصدق دعاته . .

وما اعجب ان تجد الانسانية نفسها فى حرج يوشك أن يقضى عليها ، ثم تعلم فجأة أن التنفيس عن كرباتها ربما تم باللجوء الى الرجل الذى عاشت دهورا ، وهى تروى عنه الاكاذيب وتنسب اليه الاساطير . . .

والتجاء اهل الارض الى محمد فى تلك الساعة العصيبة ، ولجوؤه الى الله يطلب مغفرته للعبيد الأغرار ذلك فى ظنى هو المقام المحمود ، المقام الذى نسأله لمحمد عقب كل اذان يتردد صداه فى مهاب الريح ليستجيب له قوم وينصرف عنه آخرون « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت « محمدا » الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته » . .

. . . .

قلت : ان محمدا فى عالم العقائد والحقائق شمس وضاحة نفاحة ، لكن العميان كثير وقد مكث هذا الرسول النبيل يصدع بأمر الله وينقذ الناس من أهوائهم ومظالمهم ، ثم ذهب الى الرفيق الاعلى تاركا فينا تراثه الجليل ، من كتاب وسنة . فليتعلم الدعاة من حياة سيد الدعاة أن اجر الحق المبذول لا يعجل فى الدنيا ، وأن للمقام المحمود موعدا فى غير هذه الدار يتعلق به وحده الدعاة الابرار . .



للاستاذ محمد المجذوب

كان مما واجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة احتفال الناس هناك بيومين في العام فسأل عنهما فأجيب « انهم كانوا يلعبون فيهما في الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر (١) وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (ان يوم الجمعة يوم عيد وذكر) (٢) وكان ذلك كافيا لالغاء كل عيد غير هذه الثلاثة التي حددها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وبات واضحا ان كل محاولة لاستحداث عيد آخر ، أو

اطلاق اسم العيد على أية مناسبة سواها ، مخالفة صريحة لحكم الشريعة .. فمن أين جاء عيد المولد وعيد رأس السنة .. وعشرات المناسبات التي يسميها الناس وبعض الحكومات أعيادا ؟!

ولكي نقدم الجواب الصحيح على سؤالنا هذا يجدر بنا أن نلقي نظرة واعية على أعياد الامم السابقة للبعثة النبوية والتالية لها .. وسنرى اننا عاثرون هناك على الجذور البعيدة لكل ما احدثه الناس من الاعياد التي لا تكاد تحصى .

١ — ففي تاريخ المجتمع اليوناني اعياد بعدد آلهتهم ، التي اخترعتها اساطيرهم لظواهر الطبيعة ، فجعلت لكل ظاهرة كونية آلهة أو إلها .. ولكل واحد من هؤلاء عيده وزمنه واحتفالاته المميزة عن سواها .

وفي حياة الهند الوثنية حتى اليوم اعياد لجموع آلهتها التي تكاد تعجز الحاسب ، ولها احتفالاتها ومواكبها التي يقرها حتى مثقفوهم على انها من تراث الهند ، الذي يحفظ لها شخصيتها القومية على مدار الزمن ولو هبط بالعقول الى أدنى الدركات !

وفي سورية — الطبيعية — بقايا آثار عجيبة لألوان من هذه الاحتفالات الوثنية ، تتمثل في قلعة بعلبك وعشرات الطلول ، التي يحاول الجاهليون الجدد احياءهم باسم (الفولوكلور) الشعبي ، الذي لا غرض له في المفهوم البعيد سوى اضعاف سلطان الاسلام على نفوس الجماهير ! ...

ولم يكن شأن الجاهلية العربية في اكناف الجزيرة شاذا عن هذا الطريق ، وان كان اهتمامها بآلهتها اقل حجما ، اذ كانت وثنيتها ضربا من التقليد السطحي لا يمس ضمير الناس كثيرا ، فلم يكن لها مثل الفلسفة والاساطير التي نسجها خيال اليونان والهنود والمصريين والفينيقيين حول آلهتهم .. ولأن ظروفهم القلقة لم توفر الجواء الصالحة للتوسع في مثل هذه الاحتفالات .

ولما انكشف الضغط الروماني عن المسيحية ، واخذت طريقها الى العلانية بعد السرية الطويلة ، لم يستطع شعوبها التخلص من آثار وثنيتهم الاولى ، ومال المسئولون عن دعوتها الى التساهل مع هؤلاء ، فأقروهم على الكثير من تقاليدهم الموروثة ، ثم لم يمض الا قليل من الزمن حتى تبنت مسيحية بولس الجديدة بعض اعياد الرومان نفسها ، كعيد الفصح الذي يرمز عند الرومان الى انبثاق الحياة ، وعند اليهود الى تذكار خروجهم من مصر ، واتخذه النصارى عيد لفطرهم اذا خرجوا من صومهم واكلوا اللحم — كذا في اللسان — وهو عندهم — في المنجد — عيد تذكار قيامة المسيح من الموت .

وحتى عيد الميلاد لم يوقت بيوم ولادة المسيح بل اخذ من أعياد الرومان ايضا .. وهكذا حلت أعياد القديسين لدى النصارى مكان اعياد الآلهة الرومانية ، حتى لم يبق قديس مشهور بغير عيد ، ثم أفرد لمجموعهم عيد عام أطلق عليه اسم (عيد جميع القديسين) ... حتى اذا وافت العهود الحديثة اتسعت دائرة الاعياد في العالم المسيحي ، بحيث تجاوزت حدود المناسبات الدينية الى نطاق الذكريات الخاصة ، فبات مألوفا بل من الامور الحتمية أن يحتفل كل فرد بعيد ميلاده ، وعيد ميلاد شفيعه من القديسين أيضا ، وكما يتعاون المجتمع المسيحي على ابراز عيد ميلاد المسيح في اطار من روائع المظاهر ، هكذا يعنى الفرد المحتفي بميلاد نفسه ، فيحيط تلك المناسبة بأزهى ما يستطيع من الظواهر ..

فاذا أطللنا على التاريخ الفرعوني نرى اساطير الامم الجاهلية كلها تجتمع تحت اسماء محلية ، منها

السار الفرح ، والمحزن الترح ، ولعل من اشهر اعياد تلك العهود عيد (أوزريس) الذى يزعمون أنه قدم نفسه قربانا لتخليص الخطاة ، على الطريقة التى عرفت لدى الهنود والصينيين من قبل ، واحتلت مركزها الاخير فى عقيدة الفداء لدى النصارى (٣) . ولقد ظلت مصر تحتفل بعيد النيل الى أيام الفتح الاسلامى ، ثم عادت الى احيائه بعد قرون فى ظل الدولة العبيدية ...

وقد كان لهذه الدولة الشيعية اثرها الكبير فى اختراع الاعياد ، ومن ثم فى اذاعة بعضها فى العالم الاسلامى .. فعيد لرأس السنة ، وآخر ليوم غدير خم (٤) ومثله لذكرى عاشوراء ، ثم يأتى موالد النبى صلى الله عليه وسلم وعلى والحسن والحسين وفاطمة و ... حتى ذكرى خروج يوسف من السجن لم يغفلوها من قائمة مستحدثاتهم ، فجعلوا لها عيدا ، ترفع فيه الزينات ، وتسير المواكب وتعرض فيه التمثيليات الشعبية التى تجبى لها الاموال من التجار تحت سمع الدولة وبصرها وتشجيعها (٥) .

ولا جرم ان الذى حمل الفاطميين على استحداث هذه المواسم أمران . اما احدهما فهو رغبة القوم فى تغيير ملامح المجتمع الذى ما انفك يحمل طوابع الاصول الاسلامية المتحدرة من الصدر الاول ، كما هو الشأن فى كل حركة ثورية تستهدف فرض خصائصها على البيئة التى تتحكم بها . وأما الحافز الثانى فهو الهاء الجماهير الخفيفة بالعراضات التى ترافق تلك الاحتفالات ، وبخاصة فى النطاق الرسمى ، حيث كان المكلفون اعدادها يفتنون فى أن يوفروا لها كل وسائل الاغراء والجاذبية ، فينظمون مواكب الخلافة ومسيرتها ، وطرق استقبالاتها ، ويفرغون على كل ذلك من مظاهر الأبهة والفخامة والترف ما يشعر بالقوة ويوحى بالمهابة ، ويشغل العامة بألوان الملاهى التى تشبع فضولهم ، وتروى أهواءهم ، فتصرفهم عن التفكير بما يراد بهم وبدينهم ! .. وما احسب باحثا فى تاريخ هذه المواسم الفاطمية بمستبعد اثر اليهودية والمجوسية فى التخطيط لها والتركيز عليها ، تحقيقا لذلك الغرض المنشود ، ولا سيما حين يتذكر ما وراء الواجهة العبيدية من التعاليم السرية ، التى نسجت فى ظلمات المؤامرات اليهودية ، ثم فى دهاليز المجوسية الفارسية ، سواء فى جذورها التى وضعت فى السلمية — من سورية — ثم امتدت الى المغرب فمصر فديار الشام ، أو فى فروعها الاخرى التى رسخت فيما بعد بأيدى اليهودى الاصيل (يعقوب بن كلس) وزير العزيز بن المعز ، ثم بأيدى حمزة الزوزنى ، وحسين بن حيدرة الفرغانى الاخرم ، ومحمد بن اسماعيل الدرزى الذين وفدوا من فارس على الحاكم بأمر الله فأعلنوا الوهيته لأول مرة فى جامع عمرو ، ثم انتقل بعضهم بهذه النحلة المجوسية اليهودية الى بعض جبال الشام (٦) حيث لا تزال قواعدها قائمة حتى الساعة ! ..

ولا خلاف بين المؤرخين فى كون الفاطميين هم السابقين الى احداث عيد المولد النبوى منذ القرن الرابع(٧) ومن هناك انتشر تقليد الاحتفال به الى سائر بقاع المسلمين ، حتى اتخذ فى بعض الدول العربية والاسلامية يوم عطلة رسمية . وفى علمى ان أول دولة أقرتها حديثا لبنان ، وكان الباعث لذلك هو التنافس الطائفى ، اذ كان النصارى يحتكرون لأعيادهم معظم العطلات الرسمية وليس للمسلمين سوى اثنتين الفطر والاضحى ، ثم رأى المسلمون ان ينافسوا مواطنيهم فى الاحتفالات بذكرى المولد النبوى مقابل حفاوة هؤلاء بميلاد المسيح ، فاذا جاء موعده

ملأوا الشوارع والاحياء بانواع الزين وخرجوا فى تظاهرات شعبية لا تخلو من الاغراض السياسية .. ثم مازالوا حتى الحقوا تلك المناسبة بالاعياد الرسمية ، وما لبث ذلك التقليد أن سرى الى الحكومات المجاورة وما وراءها من بلاد المسلمين ...

٢ ـ والاحتفال بذكرى المولد النبوى لا يزال حتى اليوم موضع أخذ ورد بين المقرين والمتهيبين ، ولكل منهما حجته فى موقفه . فهؤلاء يرون التزام سبيل السلف باجتناب كل حدث لم يقره الصدر الاول ، واولئك يتذرعون بحاجة المسلمين الى المنبهات التى تصلهم بحياة نبيهم صلى الله عليه بين الحين والحين ، ليظلوا على ذكر منها ، دون أن يتقيد ذلك بموعد ثابت وان كانوا يخصون يوم ولادته بالاكثر والافخم من مظاهر التكريم .

والى هنا والخلاف بين الفريقين ضيق المسافة ، اذ هما متفقان على وجوب التذكير ضمن هذا النطاق ، فما دام رسول الله هو أسوة المؤمنين كان لزاما عليهم أن لا يقطعوا صلتهم بذكره وسيرته ، ليحققوا ما يمكنهم تحقيقه من معانى هذه الاسوة ... ولكن الاختلاف بينهما انما ينصب على الوسيلة التى تعتمد لتنفيذ ذلك التذكير . فبينا يرى الملتزمون لسبيل السلف أن الوسيلة المشروعة شرط أساسى فى الوصول الى الغاية المشروعة ، نرى الآخرين لا يعبأون بمشروعية الوسيلة ، بل يرتضون ، أو يسكتون بالاقل عن كل ظاهرة لا يقرها الشرع ، ولا تنسجم مع روحه ، مما يرافق فى العادة هذه الاحتفالات ... التى تتحكم فيها نزوات العامة والدجالين ، ولا يتاح فيها لمصلح سليم الطوية نظيف الوسيلة أن يتعرض لها بكلمة نقد أو اصلاح ! ...

صحيح أن الاحتفال بهذه الذكرى ليس سواء فى بلاد المسلمين ، اذ يقتصر فى بعضها على قراءة القصة والقاء بعض الخطب النافعة ـ أحيانا ـ ثم توزيع الحلوى ، واقامة الزينات وتعطيل الدوائر ... ولكن منكراته تتجاوز كل تصور فى مواطن اخرى ، حتى لتشكل وصمة عار فى حياة المجتمع الاسلامى ، وتضع فى يد أعداء الاسلام أمضى سلاح لتشويه وجهه المشرق الجميل ، اذ (اصبحت الموالد هناك مراتع الفسوق والفجور واسواقا تباح فيها الاعراض ، وتنتهك محارم الله تعالى (٨) ولا غرابة ، لأن الشأن فى كل بدعة أن تبدأ خطواتها فى وقار الحكماء متظاهرة بكل ما يستهوى ذوى العواطف الساذجة من الخير والاستزادة منه ، حتى اذا اطمأنت الى الانصار واستحكم سلطانها فى الصغار والكبار ، خلعت عذارها المستعار ، واندفعت الى الفساد على رؤوس الاشهاد ، حتى لا يجرؤ على معارضتها ذو رشاد !.

أجل .. أن الاتصال بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة نشأته ، ودعوته وجهاده وأثره فى صحابته ، أحد الأسس التربوية التى لا مندوحة من التشبع بها والاقتباس من أشعتها لتصحيح المسيرة الاسلامية ، ولتكوين الجيل الصالح لاستئناف دعوته فى المجتمع الاسلامى الحائر ، وفى العالم البشرى الضائع ولكن الطريق الى هذا النور لن يكون أبدا فى السير وراء القطيع الضرير من العامة وأشباههم من الطرقيين والمرتزقة .. بل فى احياء سننه الصحيحة ، ونشر المطوى المجهول من أخلاقه العظيمة ، وتيسير السبل المؤدية الى تفهم رسالته المحيية بكل الوسائل الممكنة والمشروعة . ومن اجل ذلك لا مندوحة عن تنظيف الوسط الاسلامى من تلك الشنائع التى لا تزال تقترف على مشهد من كبار علماء الاسلام ، ورجال دولهم ، باسم الدين ، والحفاوة بميلاد سيد

المرسلين ... ولكن هذا الرجاء سيظل حلما بعيد التحقيق ، ما دام المسئولون من حكام المسلمين ، الذين يشهدونها بأعينهم ، لا يحركون ساكنا في مكافحتها ، بل ربما استراحوا الى انشغال الجماهير العمياء بها عن الحقائق التي ضلوا سبيلها ، ولا سيما اذا كان في استمرارها ما يتوهمونه مصلحة لخزينة الدولة . ولترويج اسواق المرتزقة في مواسمها المعتادة ! .. وهو المسلك نفسه الذي ورثه هؤلاء عن عهود الاستعمار الذي كان من دأبه تشجيع أمثال هذه الضلالات ، بجانب مطاردته لأهل الحق من كبار الدعاة والهداة ..

٣ ـ لما بعدت الشقة بين عهد النبوة والتابعين في العصر الاموي ، وزالت النماذج الحية التي كانت تمثل آثار التربية المحمدية في شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم ، وجد المسئولون عن قيادة الأمة لزاما عليهم أن يعوضوا أجيال المسلمين عن المثل المنظور بالخبر المسموع ، فأقاموا لهم القصاص ورواة السيرة ، والحافظين لأخبار المغازي النبوية ، يغذونها بتلك المعاني المحركة للهمم ، والمثيرة لروح الفداء والتضحية ، وكان ذلك أول تنظيم لما يسمونه اليوم بـ (التوجيه المعنوي) في أوساط العسكريين ، وكان له أثره العميق في تماسك البنيان الاسلامي على الأساس الاول زمنا غير يسير ، حتى ضعف هذا الاتجاه ، وخلف الجيل الذي عرف عن الثقافة الدخيلة أكثر مما علم من شريعته الجليلة .. فاذا الدعائم تهتز ثم تهوى ، لتحل مكانها نزوات الساسة وشهوات القادة ، ومن هنا جاءت الطامة الكبرى ، اذ زلزل الكيان الاسلامي ، ثم لم يلبث أن انقض بأجمعه ..

ولقد كان المعقول بازاء هذا التدهور العام أن تنهض البقية من أولى العزم بعبء الاصلاح على أساس رد القطيع الضائع الى جادة الاسلام . والطريق الى ذلك هو ايقاظ ما همد من روح الايمان وابراز ما اندرس من معالم الوحي ، اذ لا صلاح لآخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .. ولا ننسى أن بعض ذلك قد حدث على أيدى المصلحين ومن تبعهم في طريقهم السليم .. ولكن المؤسف أن أزمة السواد الاعظم من العامة ظلت في أيدى الجاهلين والمضللين من أصحاب الاهواء ، الذين زادوا الواقع السيء سوءا بما وسعوا من ساحة المحدثات على حساب الحقائق .. ثم نبتت من بعدهم خلوف على شاكلتهم ، لا عمل لهم الا ترسيخ قواعد الانحراف بما يتولونه من مبتدعات ، يحسبونها خيرا وهي في منظار الاسلام شر عظيم ...

وهكذا وجدنا أنفسنا فيما بعد تلقاء ركام من تلك المواريث المعوقة ، تنهض كجدران السد بين جماهير المسلمين والاسلام الصحيح الذي لا خلاص الا به ... وليست تلك الاحتفالات الشائهة ، التي تستقبل بها ذكرى المولد النبوي ، والتي يحتشد لها ملايين المسلمين في بعض أقطارهم ، على تلك الصور المخجلة المدمرة ... الا احدى المآسي التي يعانيها الاسلام في ظل هذه الانحرافات .

لقد شوهت هذه (الموالد) في عقول الجماهير المضللة شخصية صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم اذ حجبت عنهم حقيقتها القيادية ، وأثبتت مكانها صورة غريبة لا تمت الى واقعها العظيم بأية صلة ، وقد زاد المحنة عمقا تلك الحكايات المختلقة التي يقرؤها بعضهم في مجالس العامة باسم قصة المولد ، فلا تحمل من سيرته صلى الله عليه وسلم الا طيوفا غائمة لا تزيد عن كونها تعميقا لمزاعم خبيثة ، توهم أولئك

المساكين بانفصال تلك الشخصية المطهرة عن كل صفات البشر ... ولن انسى يوما حضرت فيه تلاوة احدى هذه القصص في مسجد سوري ، وكان يقرؤها للناس معمم له بعض المؤلفات في الحديث ، ومع ذلك لا يستطيع التخلص من مفتريات الدجالين ، فيصرف الوقت كله في سر نعوت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبلها حتى عقله ... ثم لم يكد يعرض لشيء من اخلاقه ولا جهاده ولا رسالته !... ويتخلل ذلك اناشيد تائهة لا تعدو ذلك النطاق الذي يجعله صلى الله عليه وسلم مخلوقا عجيبا لا يتكون من لحم ودم ، بل من الجواهر والمعادن ، حتى لتحدد نسب كل من هذه العناصر في تركيب جسده الشريف !!..

ولا جرم ان الذين يقرؤون هذه المفتريات من أولي العلم لا يفوتهم الاحاطة بمصادرها الوثنية ، التي تصور لعامة اتباعها معبوداتهم في اشكال خارجة عن المألوف .. وفي تكوينات مزدوجة تمتزج فيها الخصائص البشرية بالميزات الالهية على نحو لا يقيم للمعقول أي وزن أو اعتبار ! .. وهذا ما يسوغ للمفكر المؤمن القطع بأن وراء هذه الاضاليل أيديا شيطانية ، قصدت الى افساد التصور الاسلامي في صدور الكافة عن سابق تصميم وثيق الاحكام ، دقيق التخطيط .

٤ — ونقف هنا قليلا لنتساءل « اليس بالامكان تعديل بعض هذه الفوضى ، التي تنتظم احتفالات جماهير المسلمين بهذه المناسبة العزيزة ، بحيث تتحول الى مجهود اجتماعي ذي مردود صالح ! ..

ان المواسم الروحية في مثل امتنا وبازاء ما تعانيه من اضطراب عام ، يجب أن تكون مراكز حساب وانطلاق حساب على ما أسلفنا وما أعددنا ، وانطلاق الى ما قررنا من هدف نوجه طاقاتنا لتحقيقه في زحام الاحداث .. واذا نحن لم نحسن استغلال هذه المواسم لتلك الغاية المزدوجة لم نخرج عن كوننا مجموعة ضخمة من الاطفال الكبار ، كل همها العثور على اية مناسبة للهو والعبث واللغو المفرغ من كل مضمون ! ...

ومن فضل الله على هذه الأمة انها لم تخل قط ، حتى في أيام انحدارها خلال التاريخ ، من مفكرين جديين ارتفعوا على واقع الغوغاء ، فاتخذوا من مثل هذه المناسبات مواطن يراقبون منها مسيرة أمتهم ، ويدرسون تجاربها ، على ضوء المهمة التي القاها القدر على عاتقها ، فينبهون الغافلين ، ويوجهون المخطئين ، ويحذرون الزائغين ، ويضعون في أيدي الجميع المخطط السليم ، الذي من شأنه أن يصحح مسيرتهم في الطريق القويم .

وذلك هو المسلك الامثل ، الذي لا ينبغي لذي لب وعلم أن يغفله او يحيد عنه في كل مناسبة اسلامية ، سواء منها ما كان حقا بنفسه ، محددا في كتاب الله أو سنة نبيه ، كالجمع والعيدين والصوم والحج .. او ما كان مضافا الى الحق ، من عمل المتزيدين الذين ضاقت عقولهم عن ادراك الحكمة في تحديد الالتزامات الشرعية فراحوا يخترعون ما يحسبونه زيادة في الخير ، واجتهادا في القربات !..

ولا ريب أن ذكرى المولد النبوي واحدة من هذه المناسبات التي يمكن الانتفاع بها في اثارة العزائم وتصحيح المفاهيم ، والاتصال بأعماق المشاعر الفطرية في قلوب الخاصة والعامة من هذه الأمة ...

على أن الوصول الى هذا الغرض متوقف الى حد كبير على التزام الوسائل المشروعة فلا نحابي في الحق ، ولا نراعي في ذلك مشاعر

العامة ، رغبة فى الانتفاع بما تهيئه تلك المحدثات من فرص للتخفيف من فرقة المسلمين ، كما قال لى أحد (كبار المشايخ) وهو يحاورنى فى موضوع بعض البدع ، اذ راح يؤكد لى انه مقر لانكارى ، ولكنه يؤثر بقاء المنكر ايثارا لما يجره من المعروف !. وقد نسى أصلحه الله الا معروف فى منكر ، وان من لا يصلحه الحق لا يجديه كل ما فى الارض من الباطل .

ان التساهل فى امرار المحدثات — فى الدين — والسكوت عليها قد اذاب الذاتية الاسلامية لدى السواد الاعظم من المسلمين ، فتهدمت بذلك تحصيناتهم الروحية حتى اصبحوا مرتعا صالحا لأى طارىء من التقاليد الداخلية . وها نحن أولاء نعيش من هذا الانهيار فى بلاء لا نكاد نعرف منه مخرجا ، فالهيبية والخنفسة والوجودية ، الى جانب الطرقية الزائفة والافكار الهدامة ، والتقاليع الجائحة ... تقتحم كياننا المفتوح لكل غاز .. وقد اعان دعاة هذه المفاسد ما يحسونه من الانفصام الرهيب بين جماهير المسلمين ومنابع دينهم الحق ، حتى بات سوادهم فى معزل شبه تام عن كتاب الله وسنة نبيه ، واستقراء أحكامهما فى تدبر وتفاعل ، لأنهم استناموا الى محض التقليد ، وبات معظمهم لا يعدو نطاق القائلين (أنا وجدنا آباءنا على امة وأنا على آثارهم مقتدون) ... حتى الطبقة التى تمتاز ببعض الوعى من هؤلاء المسلمين لم يعد لديها من المناعة الخلقية ما يعصمها من الخوض فى وحول التبعية لكل من يستهويها ببهارجه .. فهى تتقمص راضية أخلاق غير المسلمين ، وتتلبس عاداتهم .. وبدافع من هذا الذوبان الشخصى تحتفل بذكريات ميلادها على الطريقة نفسها التى يسلكونها ، فترى أحدهم يستقبل مهنئيه ، ويوقد الشموع بعدد سنيه ، أو سنى من يحتفل بميلاده من بنيه ، وقد يكون هذا الانسان قائدا مرموقا ، يخوض بأمته معركتها الفاصلة ، فلا يشغله حرج الموقف فى بلاده عن التفرغ للاحتفال بعيد ميلاده ! ... بل ان بعضهم لينصبون فى بيوتهم شجرة عيد الميلاد ، محاكاة لأولئك .. ولا ينسون حتى البابا نويل وكل مالا يخطر بالبال ، من مبتدعات الخيال ، ومغويات الاطفال ، دون أن يسألوا أنفسهم عن حكم الاسلام فى هذا التقليد الذى يلحقهم وابناءهم بغير المسلمين ، لأن القاعدة الشرعية أن (من تشبه بقوم فهو منهم) .. ولكنها الببغاوية التى يصورها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول فى امثال هؤلاء (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم .. (٩) ولا عجب ، فانما يسير هؤلاء القردة على آثار من سبقهم من الغافلين ، الذين ضلوا سبيل الاسوة المحمدية ، فراحوا يتبعون طرائق اهل الكتاب فى الاحتفال بموالد أوليائهم ، محاكاة لهم فى الاحتفال بموالدقديسيهم ! ... وتقليدا لمن تقدمهم من أمم الوثنية فى المهرجانات التى يقيمونها لموالد آلهتهم ! ..

وها نحن أولاء نشهد سباقا فى ميدان التقليد لا نعرف له حدودا يقف عندها ، فعيد للعمال — أول أيار — وعيد للأم ، وآخر للطفل ، ومثله للثورة ، والأسرة ، والشجرة و ... ولو نحن رحنا نستقصى ما كان ويكون من هذه الفنون ، لعجزت عن تصورها الظنون .. ومع ذلك لا تعدم هذه المبتدعات مؤيدين لها باسم الدين ايضا على أنها مواسم مشروعة للاصلاح أو اللهو المباح !. وقد نسوا أن الاعياد أعمال شرعية ليس لغير الله ورسوله تعيينها أو احداثها ،

وفاتهم كذلك ان لو كان فى هـــذا الابتداع من خير ما سكت عنه نبـى الله ، الذى حذر امته اشد الحذر من موافقة غير المسلمين فى اعيادهـم ومهارجهم ، صونـا للشخصيـة الاسلامية من الذوبان فى غيرهـا ، وبالتالى لو كان فى اتخاذ الاعياد من ذكريات النصر والمجد صلاح لما فات الصحابة وخير القرون الحفاوة بأيام بدر والخندق وخيبر ونهاوند ودمشق وبيت المقـدس ... وعشـرات الاشراقات العظيمة فى تاريخ الاسلام .. ولكن .. قد يغفل اللبيب ، حتى يقع من الهفـوات فى العجيـب الغريب !..

٥ ـ واخيرا رب لاغ بعد هـذا يقول « ان هذا الرجل يريد أن يصرفنا عن الحفاوة بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مناسبة ، على ما يحف بها وما يعتريها ، خير مـن الغائها ! ... ولهذا وامثاله نقـول « أن العناية بذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته الطاهـرة فرض عين على كل مسلم مستطيع ، لأنها الوسيلة الى دراسة حياته ، التى هى مجال التطبيق الأسمى لاخـلاق القرآن وحقائق الاسلام ، وبدونهـا لن تتم الأسوة الحسنة ، ولن يعرف المسلم طريقه الحق .. وهى عـلى هذا الأساس عمل مشروع ، عنى به الصحابة والتابعون ، وعنهم وصلنا . وفى سلوك منهجهم استمرار لسبيل الخير ، وتثبيت للتراث الاسلامـى فى ضمائر الاجيال ، بيد ان الـذى نريد ، وندعو اليه هو ان نسلك الى هذه الغاية الكريمة سبيل اولئـك الكرام ، الذين لم يعينوا لهذه الذكرى موعدا خاصا ، بل اعتبـروها مـن ابواب العلم المطلوب فى كل زمان .. ولمجلس علم يدرس فيه شـىء من صحيح السيرة النبوية فى تدبر وتفاعل ارجح فى ميزان الخير من الف موكب والف سماط ، والف حلقة ذكر ، من ذلك الضرب الذى لا يقرب المحتفلين من حقائق الاسلام قيد انملـة ، ولا يزودهم من معانيه العليا بأية عبرة .

ولهذا نهيب بأولى الامر فى كل بلد اسلامى ممن تهمهم مصالح شعوبهم ، ان يصادروا كل قصة للمولد كتبهـا الدجالون او الجاهلون ، وان يطهروا مجتمعاتهم الاسلامية من تلك الشنائع التى لا يرضى عنهـا الا العابثـون والمستغلون ...

ولكن هذه الاهابة ستظل بغيـر مردود حتى يتحرك لها اولو البصائر من أهل العلم المؤتمنون على ديـن الله ، الغير على امتهم أن يضللهـا الماكرون من اعداء الله ..

ولسوف يسـألون عما كانـوا يعملون .

---

(١) أبو داود والنسـائى والترمـذى واسناده على شرط مسلم .

(٢) عن أبى هريرة واسناده حسن .

(٣) العقائد الوثنية وآثرها ... لمحمـد التنير .

(٤) اول المحتفلين بهذه البـدعة هـم البويهيون عهد معز الدولة سنة ٣٥٢ وذلك قبل عشر سنوات من ظهورهـا فى مصر (ظهـر الاسلام) ص ١٩٤ .

(٥) (الدولة الفاطمية فى مصر) ص ١٧٢

(٦) (الوفيات) ٢/٩١ .

(٧) (الدولة الفاطمية ...) ٩٦ و ٩٧ .

(٨) فى مقال نشرته مجلة (جوهر الاسلام) التونسية عدد ٩ شهر ربيع الاول ١٣٩١ ترد احداث المولد الى اواسط القرن السـادس ، والصحيح ما ذهبنا اليه ـ انظر (الابداع ...) ص ١٢٦ و (الدولـة الفاطميـة فى مصر) ص ١٦٣ .

(٩) « الوعى » ما يستنكر فى الاحتفال هو الوسيلة لا المبدأ كما انتهى اليه الكاتب .

قراءات

انت أنت الله

اذا ما اتجه الفكر فى السموات حيث انتشرت النجـوم فى الليل ، واذا ما كل البصر فيما لا نهاية لـه من الآفاق المظلمة ، واذا ما خشعت النفس من رهبة السكون الشامل — فانك تشرق بوجهك الكريم — من خلال هذه الآفاق ونمس بعظمتك النفس الخاشعة المطمئنة .

حينئذ تبدو الآفاق المظلمة كانها باسمة مشرقة ، ويتحول السكون الى نبرات مطربة تنبعث من كل صـوب وحينئذ تتغنى النفس الخاشـعة لتقول انت انت الله .

واذا كان المتامل على شاطىء البحر الخضم ، وارسل الطرف بعيدا حيث تختلط زرقة السماء بزرقة الماء وحيث تنحدر شمس الاصيل رويدا رويدا كانها الابريز المسجور لتغيب فى هذا المتسع الملح الاجاج ، وحيث تتهادى الفلـك ذات الشراع الابيض فى حدود الأفق الملون بالوان الشفق كانها طائر يسبح فى النعيم .

اذ ذاك يشعر المتامل بعظمة واسعة دونها عظمة البحر الواسع وإذ ذاك تقر العين باطمئنان الفلك الجارى على اديم الماء الممهـد ، وفى رعاية الله الصمد حيث تكون مظهر العظمة وحيث تطمئن النفس لرؤية ما تطمئن اليه فى منظر جميل .

إذ ذاك يدق الفؤاد بدقات صداها فى النفس انت انت الله .

وإذ ما انطلقت السفينة بعيدا بعيدا فى البحر اللجى ، وهبت الزوابع وتسابقت الرياح ، وتلبد بالسحب الفضاء واكفهر وجـه السماء وابرق البرق وارعد الرعد ، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض ولعبت بالسفينة الامواج واجهد البحار جهده وفرغ الربان من حيلة واشرفت السـفينة على الغرق وتربص الموت من كل صوب وحدب .

إذ ذاك يشق ضياؤك هذه الظلمات والمسالك ، وتحيط رافتك بهـذه الاخطار والمهالك وتصل بحبال نجداتك المكروبين اليائسين . وإذ ذاك يردد القلب : انت انت الله .

واذا ما اشتد السقم بمن احاطت به عناية الاطباء وسهر الاوفياء ونام بين آمال المخلصين ودعوات المحبين ، ثم ضعفت حيلة الطبيب ولم ينفع وفاء الحبيب واستحال الرجاء الى بلاء .

إذ ذاك تتجلى مستويا على عرش عظمتك والنواصى خاشعة والنفوس جازعة والايدى راجفة والقلوب واجفة لتقول : انا قضيت ويقول الطبيب والقريب والحبيب لك الامر انت انت الله .

فيما يمس النفس من مظاهر العظمة ومظاهر السـعة ومظاهر الرحمة ومظاهر القدر والقضاء ومظاهر الـدوام والبقاء ومظاهر الجمال والجلال اعتاد الناس ان يصفوك بالعظيم والواسع والرحيم والقـادر والدائم والجميل والجليل واوتار القلوب تردد : انت انت الله . انت انت اللـه .

من خواطر نفس للدكتور منصور فهمى .



لم يـــكن محمـــد عليــه الصـــلاة والســـلام

ثائرا انعكســـت عليــه آمـــال قومــه ، وانمـــا

كـــان رســـولا امينـــا بلـــغ رسالة ربــــه

تقوم اصول الطـريقة القديمةلحرب الاسلام والتشكيك فى عقائده وقواعده ، على هجوم علنى مباشريستهدف ابرز ما تتمثل فيه هــذه العقائد والقواعد ، وأبرز ما يتمثل فيه ذلك كله : كتاب الله تعالى، وشخص نبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

ويتخذ هذا الهجوم سبيلا مكشوفاللنيل من عظمة القـرآن والحط من مكانته ، كما يتخذ سبيلا مكشوفا مثلهلتشويه سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ودس النقيصة الكـاذبةفى حيـاته ! ..

طريقة عتيقة :

الا ان هذه الطريقة استبدلت فيمابعد ، واستعيض عنها غيرها ، فقد رؤى بعد تجربة وطول بحث ، انهاتضر بأصحابها اكثر ممـــا تنفعهم ، فالسب والشتم واختلاق الســـوءو النقيصة ، كل ذلك يكشف عن حقد اربابه اكثر مما يـدل على منهجيتهموتفكيرهم ، وما علم أن مســـلما صادق الاسلام اصغى بتجـرد الىالشتيمة التى يسمعها فى حق رسوله



الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

وكتاب ربه ، فهداه ذلك الى ترك دينه الحق واتباع الشاتمين فيما يشتمون وينتقصون ! .. بل المعروف أن كل ذلك لم يزد المسلمين الا يقينا بدينهم وتحفظا من أعدائهم .

الثناء الساخر ، او المديح الكاذب :

لقد استبدل اقطاب الغزو الفكرى اذا بطريقتهم العتيقة طريقة جديدة سواها ، فما هي ؟ ..

انها طريقة الثناء الساخر ، أو المديح الاجوف الكاذب ، طريقة تستهدف استغلال الطاقة الاسلامية بدلا من الجهد الضائع المبذول في تحطيم الطاقة الاسلامية ! .. طريقة رددها كثيرا الزعيم الشيوعي الايطالي (توليياتي) وهو يملي وصيته الاخيرة قبل ان يلفظ انفاسه .

طريقة تقول : الشريعة الاسلامية عظيمة ، ومن ابرز مظاهر عظمتها انها تقوم على قاعدة رائعة تتسع لجميع التشريعات الحديثة التي تفرضها الحضارة والعصر الحديث الا وهي : تبدل الاحكام بتبدل الازمان !! ..

وتقول : ليس ثمة وثيقة خلدها العرب فخلدت أمجادهم أعظم من القرآن ! .. وحسب الرسول نبوغا في العقل والفكر انه قد ترك من ورائه هذا الكتاب ! ..

وتقول : لم تقم أمة بثورة فكرية

شاملة على قديمها البالي كثورة الجزيرة العربية على جاهليتها البالية، ولم يقم في التاريخ العالمي ثائر انعكست عليه تطلعات امته وقومه، كمحمد العربي اذ تجسدت فيه ثورة الجزيرة العربية كلها ! ..

أجل .. هذه هي الطريقة الحديثة طريقة الثناء الساخر. والمديح الاجوف الكاذب . عسى رجل يصدق .. فتلفه النشوة . ويسكره المديح ممن لم يكن يتوقع منه المديح .. فتسترق اليد العابثة عقيدة الاسلام من قلبه . وتصوغ له في مكانها عقيدة فارغة لها من الاسلام شكله وهيكله . وليس لها من جوهره الاصيل شيء ! ..

المنطق العلمي هو العاصم السليم :

ولكن فلنتساءل : اي قدر من النجاح احرزته هذه الطريقة الحديثة ؟

والجواب : ان اي قدر من النجاح لا يتراءى في هذا السبيل الجديد ، فلئن كانت ردود الفعل هي المعتصم الواقي ضد الطريقة القديمة ، فان المنطق العلمي النير هو العاصم السليم ضد الطريقة الحديثة .

ومن ابرز مزايا الاسلام ، انه يقوم في مبادئه الاعتقادية ، وقواعده التشريعية على موازين المنطق والمنهج العلمي ، ولذلك لم تكن مقابلة الدين بالعلم الا سخافة لا معنى لها ، في دائرة الاسلام وحكمه .

فلا الثناء الذي يهدف الى العبث بمبادئه يغر ويخدع .. ولا الحرب المباشرة لكتابه ، او سيرة نبيه تصد عن الايمان بهما والخضوع لسلطانهما اذ كان ضياء العلم الخالص المجرد ، هو الهادي الى سبيل الاسلام ، وهو ضياء تنحط دونه جميع المساعي الخادعة مهما كان لونها .

لقد وقف مدرس يحترف التشكيك بالاسلام وعقائده ، امام تلاميذه ذات يوم ، وراح يسألهم : ايهما اليق في حق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ان نقول انه ابدع هذا التشريع العظيم والكتاب المعجز البليغ من فكره النافذ البصير ، ام ان نقول انه ليس الا ساعي بريد حمل هذا كله الى الناس دون ان يكون له اي حكم او راي فيه؟

قال ذلك وهو يحسب انه قد اصطاد بقوله الخادع هذا ايمان الصغار وعقيدتهم . ولم يكن يتوقع بكل ما لديه من شخصية المعلم العاقل ان يقوم اصغرهم سنا فيقول : ايهما اليق واكرم بحق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ان نقول انه كاذب يأتفك على الله ما لم يقله ولا اذن به ، ام ان نقول انه صادق امين لم يأتفك على خالق ولا كذب على مخلوق ؟! ..

لقد كان المنطق والمقياس العلمي بجانب الصغير الذي قام اسلامه على دراسة وعلم . وكان الدجل والختل بجانب المعلم الكبير الذي قام احترافه لحرب الاسلام على مجرد شهوة نفسية فارغة .

الخديعة الكبرى :

ومع ذلك ، فان الطريقة الجديدة في حرب الاسلام ، ماضية في سبيلها، على امل أن دوام التلبيس على الحق قد يمزجه اخيرا بالباطل ، فلا يتبين هذا من ذاك ، وتضيع بينهما موازين المنطق والعلم .

وتؤلف الطريقة الجديدة صورة خادعة كبرى تقف عندها وترددها وتتصرف في تكرارها بكل الاساليب الممكنة ، على امل ان تميع عقيدة المسلمين بنبوة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام .

فمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيما ترسمه هذه الصورة ، ثائر من هؤلاء الثوار الذين تتجمع في اشخاصهم تطلعات أقوامهم وأمانيهم ، فيغيرون سبيل التاريخ ، وينسخون تيارا اجتماعيا بآخر ، ويقيمون منهجا من التقويم والاصلاح سرعان ماتخضع له أممهم بشتى وسائل السلم أو الحرب .

انه — فيما ترسمه هذه الصورة — ثائر يغلي دم الثورة حارا في عروقه، ظهر بين قومه في عهد هرمت فيه تقاليد الجزيرة العربية من وثنية وأوضاع اجتماعية فاسدة ، وتفتحت فيه العقول على سخافات الشرك وعبادة الاوثان ، واخذت تنزع الى سبيل ما تتخلص به من تبعات القرون وآثار الماضي السحيق . وكما هي العادة في كل أمة وعند كل قفزة من قفزات التطور الاجتماعي — فقد تجمعت هذه النزعات واتخذت مثابتها في نفس أقوى شخصية عربية ظهرت في الجزيرة العربية على الاطلاق ، وما هي الا أن نضجت فكرا ومنهجا في ذهنه ثم اشتعلت ثورة وحماسا في نفسه ، حتى قام بدعوته الاصلاحية التي شاءت لها الظروف أن تلبس لبوس الدين والحكم الالهي !! ..

الف باء المنطق التاريخي :

وهذه الصورة تعني أن الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، كانت ترتفع رويدا رويدا عن سخافة الوثنية والشرك ، وتقترب شيئا فشيئا نحو عقيدة التوحيد والقيم الاسلامية التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى اذا جاء زمن البعثة ، كانت قد نضجت في النفوس والعقول نزعة التخلي عن القديم البالي واصطفاء الفكر الديني الجديد أتم ما يكون النضج ! .. أي أن العرب كانوا قبل ثلاثة قرون — مثلا — من بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ، مستغرقين في حمأة الوثنية والشرك ، فلما طال بهم العهد وحان وقت البعثة كانوا قد استيقظوا الى عقيدة التوحيد ودبت فيهم روح الثورة على تقاليدهم القديمة ! ..

فهل هكذا يقرر التاريخ في أبسط الف بائه التي يعرفها أطفال المدارس ؟! ..

ان كل من سمع باسم التاريخ العربي يعلم ان أمر العرب والوثنية جار على عكس ما يزعمه هؤلاء تماما .. فقد كانوا قبل بضعة قرون من بعثته عليه الصلاة والسلام يؤمنون بالحنيفية السمحة التي بعث بها أبو الانبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولا يبتغون بعقيدة التوحيد بديلا ، فلما تطاول عليهم الزمن ، تسللت اليهم أفكار الوثنية من جهة الروم ، ثم أخذت تنتشر بينهم بعامل الجهل والامية وبعد العهد ، حتى أطبقت عليهم ظلمات الشرك ، اللهم الا بقايا لمع كانت تظل تبرق هنا وهناك ، فعندئذ أكرم الله العالم ببعثة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ليخرج الناس من ظلمات الشرك والكفر ويعيدهم الى ضياء الايمان والتوحيد .

عمرو بن لحي الخزاعي ، وكيف انتشرت الوثنية في الجزيرة العربية :

وايضاح ذلك — وهو شيء واضح معلوم في جميع كتب التاريخ — أن عمرو بن لحي بن قمعة (وهو جد قبيلة خزاعة) خرج من مكة الى الشام في بعض أموره ، فلما قدم (مآب)

من ارض البلقاء ـ راى اهلها يعبدون الاصنام (ولم يكن العرب يعلمون اذ ذاك شيئا عن الاصنام وعبادتها ، وكانوا جميعا على فطرة التوحيد والايمان بالله عز وجل) فقال لهم : ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا له هذه آلهة نعبدها نستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : افلا تعطوننى منها واحدا فأسير به الى ارض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له (هبل) فقدم به مكة فنصبه وامر الناس بعبادته وتعظيمه (1) .

وهكذا انتشرت عبادة الاوثان فى الجزيرة العربية وشاع فى اهلها الشرك ، فانسلخوا بذلك عما كانوا عليه من عقيدة التوحيد ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، وانتهوا الى مثل ما انتهت اليه الامم الاخرى من الضلالات والقبائح فى المعتقدات والتقاليد والافعال .واخذت هذه المظاهر كلها تزداد ضراوة وشيوعا كلما امتد بهم الزمن ، شأن سائر الامم والشعوب عندما يغشاها الجهل ، ويطول بها العهد ، ويندس بين صفوفها المشعوذون والمبطلون .

بقايا ضياء قديم لا ثورة فكر جديد :

غير انه بقيت فى العرب طائفة من الناس ـ كانت تقل مع الزمن ـ ظلت متمسكة بعقيدة التوحيد ،سائرة على نهج الحنيفية : تصدق بالبعث والنشور ، وتوقن بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصى ، وتكره هذا الذى استحدثه العرب من عبادة الاوثان وضلالات الراى والفكر .

ولقد اشتهر من هذه البقية كثيرون كقس بن ساعدة الايادى ، ورئاب الشنى وبحيرا الراهب .

وكان هؤلاء يعيشون فى غربة وعزلة عن اقوامهم ، وكانوا يقلون مع الزمن ، وكانوا يشبهون فى مظهرهم وتجافى الناس عنهم وثباتهم على الحق الثابت القديم ، بقايا أطلال مهشمة لبناء خرب قديم مهجور ! ..

فلئن كان هؤلاء دعائم ثورة فكرية نشأت عند العرب وقادها محمد عليه الصلاة والسلام ، فلقد كان فى الجزيرة العربية اضعاف تلك الدعائم قبل قرن او قرنين من بعثته عليه الصلاة والسلام ، فلماذا لم تقم الثورة الفكرية فى ذلك العهد ؟ .. وما الذى بطأها عن الظهور حتى تحطمت جميع دعائمها ما عدا بقايا محطمة منها معزولة هنا وهناك ؟!

وبتعبير آخر : ان فكرة التوحيد والنزوع الى فضائل الحنيفية السمحة التى هى دين الانبياء جميعا ، والتى كانت تظهر على شكل بقايا ضياء قديم فى عهد البعثة المحمدية ، لم تكن تبلغ عشر معشار تلك الفكرة ذاتها قبل قرنين أو ثلاثة قرون من الزمن ، واذا فقد كان المفروض ـ حسب تصور هؤلاء الناس لمعنى النبوة والبعثة ـ أن تكون بعثته عليه الصلاة والسلام قبل الزمن الذى بعث فيه بعدة قرون واجيال فلماذا لم يكن الامر كذلك ؟ ..

انها شخصية رسول ! ..

ثم أين هى حصيلة الفكر الثورى الذى تجسد فى دعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، خلال ثلاثة عشر عاما ، لم يجد خلالها من هذا الفكر الثورى الا الكيد المتواصل المطبق على دعوته وعقيدته ؟

وفيم يحتاج هذا الانسان الثورى

ــ على زعم الصورة المرسومة ــ الى أن يستنزل ثورته من السماء ، وهى انما نبتت من أدمغة أصحابه وبنى عشيرته فى الارض ؟ .. وفيم يستعين لها بقرآن متلو ، وعقائد غيبية بدلا من أن يستعين لها بالثورة الفكرية التى تغلى فى دم قومه وأمته ؟ ..

وما حاجة هذا الانسان الثورى ــ اذا ــ الى أن يحيى ليالى عمره متنسكا ضارعا باكيا يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ، وأن يوقظ من قلبه رقيبا دائما على جميع حركات نفسه وسكناتها فى سبيل أن لا يلقى الله غدا وهو عليه ساخط ــ .

أقول : ما حاجة هذا الانسان الثورى الى شىء من هذا كله ، وهو انما يتعامل برأس مال ورصيد من فكر أمته وبنى قومه ؟ ..

اشهد أن كل ذى عقل من البشر يدرك ــ اذا أراد أن يصدق ــ أنها شخصية نبى مرسل من عند الله ، لا شخصية زعيم ثائر يستلهم الفكر مما عند الناس .

وأشهد أن كل ذى عقل من الناس يعلم ــ اذا أراد أن يصدق ــ أن محمدا عليه الصلاةو السلام جاء ليكون حجة على هذه الامة أولها يوم القيامة، حتى لا يقول قائل : ما جاءنا من نذير . فقد جاءكم النذير ، ولكنكم أبيتم الا أن تستقبلوا كلامه بعقول مقلوبة وبصيرة عوراء ! ..

ايها الناس تنبهوا جيدا ، فان مصيرنا واحد ! ..

هذه الحقيقة التاريخية ،من الامور الواضحة التى لا يتعثر فى فهمها صغير ولا كبير ، فكيف يتجاهلها ــ مع ذلك ــ أولئك الذين يحلو لهم أن يستروا نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقول بهذا الزعم الذى يناقض هذه الحقيقة مناقضة حادة بل ينطوى على عكسها تماما ؟! ..

ان الذى يدعوهم الى هذا التجاهل العجيب ، انما هو العصبية ! .. العصبية ضد الحقائق الدينية بكل ما تستلزمه من قيم وقواعد واحكام وتشريع ! ..

ولكن ما هى حساب أرباحهم من وراء هذه العصبية العمياء ؟! ..

ان البائع الذى يتعصب ضد السعر الذى يفرضه المشترى ، ينبعث فى عصبيته من الربح الذى يتوقعه ويطمع فيه . والجماعة التى تتعصب فى معركة الانتخابات لشخص ضد آخر تنبعث فى عصبيتها له من آمال المكاسب التى تعلقها عليه .

ولكن عن أى شىء ينبعث من يتعصب ضد بلاغ رب السموات والارض للصفوة المختارة من مخلوقاته ؟! ..

ان رسالة الله الى عباده عن طريق المرسلين الذين ابتعثهم اليهم واحدا اثر آخر ، يتضمن النبأ العظيم الذى يتعلق بمصيرهم جميعا، ويحدد نهاياتهم المطلقة التى لا مناص منها ، فأى معنى غير معنى الجنون فى أن تتعصب طائفة من هؤلاء العباد ضدها ؟!

شخصان يسيران فى مفازة مجهولة ، انتهيا الى مفترق يقفءعلى فم طريقين : أحدهما ينتهى الى هلاك لا ريب فيه ، والآخر ينفذ الى الغاية المطلوبة لهما ، فهل أمامهما من سبيل غير التعاون المطلق لمعرفة الطريق المطلوب ، وتجنب سبيل الهلاك ، حتى ولو كانا من قبل ذلك خصمين متخالفين ؟ .. وهل سمع أحد من

الناس ان عاقلا اجتهد فى معـرفة الطريق السليم ، فلما واجهه صاحبه بالراى السديد وبصره بخطئه ، اخذت منه العصبية مأخـذها ، وابى الا التمسك برأيه ، ثم انحط يسير فى طريق الهلاك ، حتى لقى حتفه آمنا مطمئنا ، لانه ابى التبعية لغيره ، ولم يخضع لراى غـير الرأى الذى فى راسـه ؟! ..

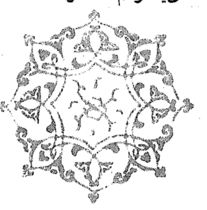
أيها الناس : أما والله ان بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، لم تكن عبثا من الامر ، ولا ترفـا فى باب الزعامة أو الثورة أو الفكر ! .. وانما جاء ليبلغ انذار الله لعبـاده على فترة من الرسل الذين جاءوا من قبـله .

فانظروا فى الكتاب النذير الذى تركه أمانة بين أيديكم ، وأمعنوا فيه الفكر محررا من كل عصبية وغرض وحقد ، فان الامر متعلق بمصـيرنا جميعا ، مصير هائل مخيف جدير أن يذوب تحت سلطانه جميع معـانى المصالح الآنية والعصبيات المذهبية والفكريـة .

فان رأيتم أن الامر كذلك ، فأجمعوا امركم واحزموا قواكم وانطلقوا صفا واحدا نحو تحقيق الهدف الذىيدعوكم اليه كتاب الله ، وتحملكم عليـه سنة رسول الله ، وسيروا فى الطريق التى لقى الله عليها أسلافكم ، لقـد خافوا الله تعالى فخافهم كل شىء ، وجعلوا همهم تحقيق مرضاته فكفاهم الله تعالى جميع هموم الدنيا .

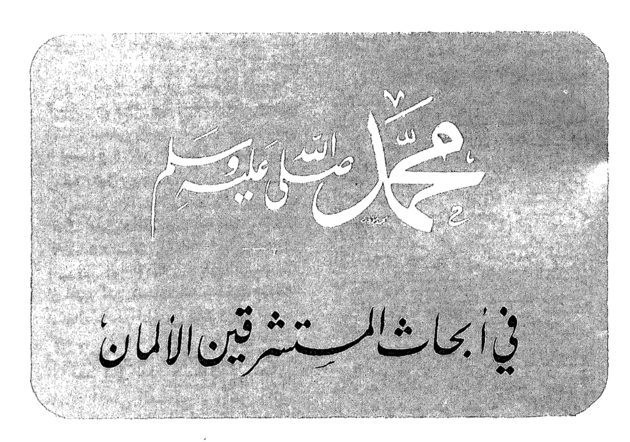
أما إن أبى كل صاحب رأى وهوى الا مزيدا من العصبية لرأيـه او مصلحته وهواه ، فليعلم أنه انمـا يتعصب ضد ذاته هو ، والا فليرنى ثباته الدائم على عصبيته هذه ! .. وليظل على هذه الحال الى أن يستد منه الجسد الذاوى على فراش الموت وتريه عيناه الملك الموكل بقبض روحه والدنيا المطوية المنطلقة من حسـاب عمره ، والمصالح العاجلة التى غرته اذ كان يحسبها ماء فراتا ، ثم تخلت عنه اذ رآها سرابا باطلا ووهمـا مستحيلا .. !

ايها الناس : اجعلوا من ذكـرى مولد رسول الله ، مثابة عهد جـديد تبايعون به نبيكم وتصطلحون به مـع ربكم ثم انطلقوا فى مجاهدة صادقة فى سبيل مرضاة الله . قبل انينطوى عنكم بساط العمر ، ويبدو لكم من ورائه وادى الحسرة والنـدم .. ولات ساعة مندم .



---

(۱) سيرة ابن هشام : ۷۷/۱ والاصنام لابن الكلبى : ۸ و ۹ وانظر ما كتب فى هذا البحث مطولا فى كتابنا فقه السيرة .



للشيخ : طه الولى

لا بد من القول بأن الصدام التاريخى الذى وقع بين الشرق الاسلامى والغرب المسيحى اثناء الحروب الصليبية قد لفت نظر الاوروبيين الى الاهتمام بكل ما يتصل بالدين الاسلامى لا سيما بشخص النبى صلى الله عليه وسلم نفسه باعتباره مؤسس هذا الدين وحامل لوائه الاول . وان شخصية الرسول الاعظم ، عليه الصلاة والسلام استقطبت فى جاذبيتها المبدعة أنظار المستشرقين الالمان ، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من المستشرقين الاجانب، لان هؤلاء واولئك وجدوا فى دراستهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ما يكمل دراستهم للاسلام من خلال القرآن الكريم . فوجهوا عنايتهم الى هذه الشخصية العظمى بنفس الحرارة التى رافقت عنايتهم بالقرآن نفسه .

وفى عام ١٧١٠ ميلادية قرأ المتحدثون باللغة الالمانية « ان محمدا لا يبتعد عن التعاليم الكبرى للديانة الحقيقية الاصيلة . وقد قام أتباعه بنشر هذه التعاليم الى أقصى شعوب آسيا وأفريقيا . وفى كثير من البلاد قام الاسلام بالقضاء على المعتقدات الوثنية التى وقفت أمام التعاليم الصحيحة عن وحدانية الله وخلود الروح » وكان قائل هذا الكلام المتزن والرأى الرصين هو الفيلسوف الالمانى « لايبنيتز » الذى شق أمام أبناء جلدته من المستشرقين طريقا مستقيما لدراسة شخصية محمد صلى الله عليه وسلم فى ضوء العقل والمنطق وبأسلوب العالم الذى

يتحرى الموضوعية والانصاف فى ما يكتب عن الاسلام ورسوله .

ولم يلبث الطريق الــذى شــقه لايبنتز ان وجد من يسلكه من بــين الالمان ، ففى القرن الثامن عشر كتب « ليسينغ » اكبر الشعراء والنقاد فى زمانه يقول :

« اننى واثق من انه بين هؤلاء الذين يرون أن الديانة « التركية » (ويعنى بها الاسلام) هى السبب ، او هى التى تتحمل الذنب فى هــذا او ذاك ، هم اقل من قرأوا القرآن .

وانه ايضا من بين الذين قراوه لا يوجد الا عدد قليل جدا حــاول أن يعطى كلماته المعنى الصحيح . واننى واثق انه لو كان فى نيتى ان أقوم بهذا العمل لاستطعت ان اعــرض اهم ما فى الديانة الطبيعية فى القرآن بوضوح ، كما اننى اعتقد أن كل مفكر يوافقنى على أن كل المبادىء الرئيسية فــى تعاليم محمد ، تنبع من الديانة الفطرية الطبيعية . »

ولم يأت القرن التاسع عشر للميلاد حتى رأينا الدكتور جوستاف فايــل يصدر دراسة كاملة تنــاول فيهــا المسيرة النبوية الشريفة حرص فيها على تقديم صورة يركن الى صحتها عن المرحلة الاولى لظهور الاسلام ، ومن حسن الحظ فى دراسته هذه أنه اعتمد على مصادر كانت افضل بكثير من تلك التى اعتمد عليها الذين كتبوا عن حياة النبى صلى الله عليه وسلم من قبله . وقد انتهى فايــل مــن دراسته المذكورة ، الى الاقتناع بأن محمدا يمكن أن ينظر اليه من جانب غير المسلمين ، على انــه بالفعــل « رسول الله » .

ومنذ ذلك الحين اخذ المستشرقون والادباء الالمان بدراسة النبى صلى الله عليه وسلم واحتلت هذه الدراسة مركز الصدارة فى علوم الاستشراق بين الالمان . وعندما الف الشاعــر الفرنسى الكبير « فولتين » مسرحيته الضخمــة « محمد النبى » ســارع الادباء الالمان الى ترجمتها الى اللغة الالمانية ، وما زالت الترجمة التــى وضعهــا الشاعــر الالمانى الكبيــر « غوته » سنة ١٨٠٠ ميلادية تعرض على المسارح الالمانية حتى اليوم .

على ان غوته لم يكتف بترجمــة مسرحية فولتير عن « محمد النبى » بل انه وضع هو نفسه « الانشودة الثنائية بين على وزوجته فاطمة التى اشتهرت بعد ذلك باسم « انشودة محمد » وفيها يصور هــذا الشاعر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم على أنه « النموذج الاعلى للانسان الذى ملأ الله عليه قلبــه وحياته ، وانعم عليه وطهره واصطفاه ليؤسس الديانة الكبرى » وتدور أحداث هذه الانشودة حول النبى صلى الله عليه وسلم وهو بعد فى صباه يقف علــى ملتقى الطــرق بين الأفكــار الدينية المختلفة ويكافح من أجل الايمــــان والاعتقاد بإله واحد « وفيها يشبه غوته النبى صلى الله عليه وسلم بنهر عــارم مطرد ، يجرف أمامه كل شىء ويقتلع ما يصادفه معه ويندفع بــه بقوة الى الاله الابدى .

ولقد شغلت شخصية محمد صلى الله عليه وسلم شاعر المانيا الكبير غوته طوال أيام حياته . فعندما صنف كتابه « الديوان الشرقى الغربى »

فانه ضمن هــذا الديوان اكثر من اثنتى عشرة قصيدة تدور كلها حــول محمد وتعاليمه ودعوته الدينية .

والى جانب غوته نجد شاعــرة المانية اخــرى تتنــاول بقصائدهــا شخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابين صدر اولهما سنة ١٨٠٤ تحت عنوان « حلم محمد فى الصحراء » والثانى صدر فى سنة ١٨٠٥ تحت عنوان « محمد ، نبى مكة » على ان هذه الشاعرة قدمت النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الناسك الزاهد متاثرة بما علق فــى ذهنها مــن حياة الزهــاد والنساك النصارى . الامر الــذى ادى الى فشــلها فى اجتذاب الجمهــور الى الاهتمام بعملها .

وفى سنة ١٨١٥ جعل الشاعــر براون مسرحيته التى كتبها بأسلوب كلاسيكى ، تحت عنوان « وفــــاة محمد » وقد صور فيها هذا الشاعر وفاة النبى صلى اللــه عليه وسلم متأثرا بفعل السم الذى وضعته لــه فى طعامه احدى النساء من الكفار . وقد اعتمد براون فى ذلك على بعض الاقوال القديمة التى تزعم بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد توفى فعلا بالسم ، مع العلم بأن هذه الاقوال لا ترقى الى درجة اليقين التاريخى .

وفى غضون القرن التاسع عشر تضاعف عدد الالمان الـــذين عرفوا بدراسة الاســـــلام بصورة عامـــة وبالكتابة عن شخصية النبى عليــه الصلاة والسلام بصورة خاصـــة . فنجد باعث الحركة الادبية فــى هذا القرن يقول :

« أن الدافع فى مجرى حياة محمد النبوية ، كان نفوره وبغضــه التــام للوثنية وعباده الاصنام وايمانه الحاد بمبدا الاله الواحد ، وعبادة اللــه بنقاء فى عمل الخير » .

وفى هذا العصر بالــذات جاء المستشرق الالمانى الكبيــر « يوسف فون هامر » ـــ بورشتال »

فوضع ، حوالى سنة ١٨١٨ كتابا جمع فيه سير الخلفاء والامراء والملــوك الكبار ونشر فى نحو خمسين مقالــة تحت عنوان « ايوان الصور لحكماء المسلمين الكبار فى القرون السبعــة الاولى للهجرة » وفى هــذه المقالات يعالج فون هاير سير الملـــــوك المشهورين فى بلاد الاســـلام مبتدئا بسيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه :

« يجب أن نتمسك بوجهــة نظــر ان محمدا لم تكن تدفعه مجرد تلــك الفكرة العظيمة وحدها ، فكرة اخراج قومه من ضلال تعدد الالهة ، وهداية هؤلاء القوم الــى الصراط المستقيم واعادتهم الى الايمان بالاله الواحــد بل انه كان يتملكه ايضا شعور دينى حى . واقتناع ذاتى بالوحى الالهى الذى ينزل به الروح الامين على قلبه وكان على ايمان عميق ، شأنه فــى ذلك ، شأن سابقيــــه من الانبياء الآخرين بأنه ارادة السماء بأخذ امته فى طريق الهدى والصراط المستقيم ، انه واحد من مؤسسى الاديان الثلاثة الكبرى التى نشأت فى مصر وسورية والجزيرة العربية ، وانتشرت فــوق سطح الكرة الارضية بكاملها ، وهــو خاتم النبيين . »

ولفون هامر كتب اخــرى فــى الاسلام والنبى محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك القصائد الشعرية التى

نظمها سنة ١٨٠٦ تحت عنوان « نفير الجهاد » وصور فيها النبى الكريم داعية عظيما للجهاد فى سبيل الله .

وفى سنة ١٨٢٣ ندب هامر نفسه للرد على ما جاء فى مسرحية فولتير من تهجمات على شخصية النبى عليه السلام فألف كتابا تحت عنوان « محمد او محاصرة مكة » تحدث فيه عن فتح النبى صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة .

وقد ادت حركة النقد التى تعرضت لها الديانة المسيحية فى القرن التاسع عشر الى الاهتمام الزائد بالاسلام وصاحب رسالته . فألف « دوامر » فى سنة ١٨٤٨ ديوانا أسماه « محمد واعماله » حاول فيه المقارنة بين كبرياء المسيحية وترفعها الروحى وبين بساطة الاسلام ويسره واتفاقه مع الطبيعة السمحة . وتوالى فى هذه الفترة المؤلفون الالمان الذين تناولوا بالكتابة سيرة النبى عليه الصلاة والسلام من ذلك (« دوللر » الذى كتب « قصصا تاريخية » ونشرها فى سنة ١٨٤٤ تحدث فى هذه القصص عن نشأة محمد عليه الصلاة والسلام وتطوره حتى مرحلة النبوة وذلك بأسلوب رومانتيكى جذاب . وكذلك أصدر كل من الكاتبين شافها يتين وفون دير بفوردتن ، كتبا وقفا فيها موقفا ايجابيا مؤيدا للنبى العربى الكريم .

ولم يقف أهتمام المستشرقين الالمان عند تأليف الكتب فى هذا الصدد ، بل أن بعضهم عمد الى نشر ما ألف فى القصة العربية من كتب السيرة النبوية الطاهرة كما فعل المستشرق الالمانى فردينـاند وستنفيلد الذى أصدر سنة ١٨٦٠ سيرة ابن هشام بنصها العربى ثم قفى عليه المستشرق « فايل » سنة ١٩٦٤ بترجمة هذا الكتاب التاريخى الهام من العربية الى اللغة الالمانية .

اما المستشرق الالمانى الكبير تيودور نولدكه فانه أصدر كتابا قائما بذاته تناول فيه شخصية النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته واطوار حياته تحت عنوان :

« حياة النبى محمد » كما شارك فى الاشراف على طبع « تاريخ الطبرى » وترجمته الى الالمانية .

ويقول نولدكه فى كتابه الذى وضعه عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم :

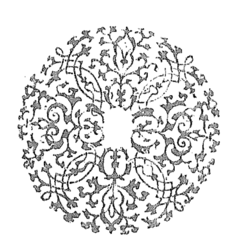
« اننا لكى نصدر حكما صحيحا وعادلا على محمد ، يجب ان لا نتأمله نقط فى حياته كنبى وداع وحاكم ، بل نتأمله أيضا فى حياته ومعاملاته مع اتباعه وأصدقائه ، وفى حياته اليومية . فان عددا لا يحصى من الشواهد والادلة الصادقة يبرز صورته فى ضوء بهيج . أما ما يقال عن اخطائه فانه يجب على المرء أن يعرف انها لم تكن أخطاؤه هو ، بل هى الى أكبر حد أخطاء عصره وشعبه . وانه كان يملك انبل الخلق والايمان برسالته فى العودة بالناس الى الدين الصحيح ينجيهم من العذاب المقيم ويمكنهم من نعيم السماء » .

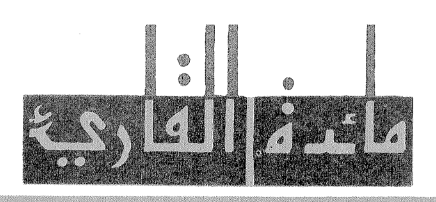
وهكذا ، فلقد توالى بعد ذلك اهتمام المستشرقين الالمان بهذا النوع من الدراسات التى وجدت أهتماما ملحوظا فى المانيا بصورة خاصة ، حيث لم يعد محمد صلى

الله عليه وسلم فى نظـــر العلماء الالمان مـــن المعنيين بالدراســـات الاسلامية ، مجرد وثن اسطـــورى يعبده المسلمون الاغبياء ولا نبيا كاذبا خداعا يضلل الناس عن جادة الحـــق والصواب ، كما كان يصوره أحبـــار الكنيسة والدائرون فى فلكها المتزمت سابقا ، بل أصبح النبى عليه الصلاة والسلام فى نظـــر الالمان ، انسانا جـــديرا بكل احترام وتبجيـــل « لانه جـــــاء بدين ينطـــــوى على أجـــود الآراء واحســـنها » كما كان يقول المستشرق الالمـــانى القديم « غ » بوستل وهو يعظ الناس المتألبين حوله عند جسر ريالتـــو . بالبندقية فى أواسط القرن السادس عشر للميلاد ..

واننا لنجد فى مؤسسات الابحاث الاسلامية المنتشرة اليوم فى طـــول البلاد الالمانية وعرضها العديد مـــن الدراسات المفيدة سواء فىحيـــــاة النبى صلى الله عليه وسلم شخصيا ام فى سيرة صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم ، وآخـــر هـــذه الدراسات كما يقول الدكتور البرت ديتريش فى كتابـــــه « الدراسات العربية فى المانيا » آخـــر هـــــذه الدراسات هو الكتاب الذى ألفـــه الدكتور رودى باريت تحت عنـــوان « محمد والقرآن » ..

ويحسن بنا أن نختم هذا الحديث بالاشارة الى أن « كل الاعمـــــال الادبية التى قامت فى المانيـــا مـــع غوته وبعده حول شخص النبى صلى الله عليه وسلم ، حـــاولت وبذلت جهدها لكى تقدم صورة صادقة عنـــه بقدر امكانها ، وان تقرب هذه الصورة بقوة الى القارىء الالمانى ، وانهـــــا جميعها تقر وتعترف عن قناعة وتجرد : « بأن محمدا عليه الصلاة والسلام هو نور الله الداعى الى الحق والهدى » .





« جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى » .

(رواه البخارى)

مراتب الوحى

١ ــ الرؤيا الصادقة ، وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم .

٢ ــ ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير أن يراه .

٣ ــ كان الملك يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يحفظ عنه ما يقول .

٤ ــ كان الملك يأتيه في مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه .

٥ ــ كان يرى الملك فى صورته التى خلق عليها فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه .

٦ ــ ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلوات وغيرها .

٧ ــ كلام الله له بلا وساطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران .

حاضنات النبى

أمه آمنة بنت وهب ، وثويبة ، وحليمة والشماء ابنتها ، وأم أيمن بركة الحبشية .

زوجات الرسول

١ ــ خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

٢ ــ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية رضى الله عنها .

٣ ــ عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها .

٤ ــ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها .

٥ ــ زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها .

٦ ــ هند أم سلمة بنت أبى أمية المخزومية رضى الله عنها .

٧ ــ جويرية بنت الحارث رضى الله عنها .

٨ ــ صفية بنت حيي بن اخطب وهى من ذرية هارون عليه السلام . رضى الله عنها .

٩ ــ أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الأموية رضى الله عنها .

١٠ ــ ميمونة بنت الحارث الهلالى رضى الله عنها .

١١ ــ زينب بنت عبد الله المعروفة بأم المساكين رضى الله عنها ، وقد توفيت والسيدة خديجة فى حياته صلى الله عليه وسلم .

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

(قرآن كريم)

أولاد النبى

القاسم ، ثم زينب ، ثم رقية ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم عبد الله ، وكلهم من السيدة خديجة .

ثم ولد له ابراهيم بالمدينة — من السيدة مارية .

اعمام النبى

حمزة بن عبد المطلب ، والعباس ، وأبو طالب واسمه عبد مناف ، وأبو لهب واسمه عبد العزى ، والزبير ، وعبد الكعبة ، والمقوم ، وضرار ، وقثم ، والمغيرة ولقبه حجل ، والعيداق واسمه مصعب .

ولم يسلم منهم الا حمزة والعباس .

وأسن أعمامه الحارث ، وأصغرهم العباس .

سلاح النبى

كان له صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف وهى :

ما ثور ، والعضب ، وذو الفقار ، والقلعى ، والبتار ، والخنف ، والدسوب ، والمخذم ، والقضيب .

وكانت له سبعة أدرع وهى :

ذات الفضول ، وذات الوشاح ، وذات الحواشى ، والسعدية ، وفضة والبتراء ، والخرنق .

كتاب النبى

أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وعامر بن فهيرة ، وعمرو بن العاص وأبى بن كعب ، وعبد الله بن الأرقم ، وثابت بن قيس ، وحنظلة ابن الربيع الأسدى ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن رواحة ، وخالد ابن الوليد ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وقيل أن أول من كتب له معاوية بن أبى سفيان وزيد بن ثابت .

مؤذنو الرسول

كانوا أربعة ، اثنان بالمدينة . بلال ابن أبى رباح وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن ام مكتوم القرشى العامرى الأعمى . وأذن له بقباء سعد القرظ مولى عمار ابن ياسر ، وأذن له بمكة أبو محذورة واسمه أوس بن المغيرة الجمحى .

خدم النبى

١ — أنس بن مالك ، وكان على حوائجه .

٢ — عبد الله بن مسعود صاحب نعله وسواكه . .

٣ — عقبة بن عامر الجهنى صاحب بغلته .

٤ — اسلع بن شريك صاحب راحلته .

٥ — بلال بن رباح .

٦ — أبو ذر الغفارى .

٧ — أيمن بن عبيد وكان على مطهرته وحاجته .



— ١ —

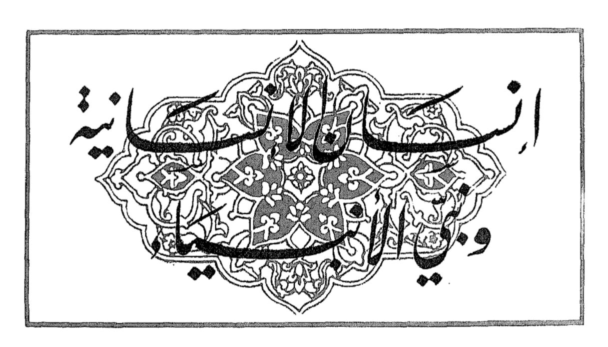
في كل كائن عنصر يندس في كيانه ، ويضمر في وجوده .. هـذا العنصر هو سر بقائه ، وحافظ نظامه ، وروح ذاتيته ، ومختصر حقيقته ، سواء في هذا ما كان من عوالم السماء ، أو عالم الارض .. ابتداء من الهباءة والذرة ، الى النجم ، والمجرة ، ومن الانسان في شخصه الى الانسانية كلها في امتداد زمانها ومكانها ..

فالكائن الحي — مثلا — حين يكشف عن سره ، ويصرح عن مكنونه ، نراه يعرض في معرض الحياة وجوده كله مختصرا في مولود من مواليده ، أو في آية من آيات خلقه وابداعه ..

فاذا وقف بنا النظر عند شاعر مثلا ، رأيناه مشخصا في مرآة ديوان شعره ، الذي يضم قصائده ومقطعاته ، ثم رأيناه في صورة أدق وأوضح في قصيدة أو مقطوعة ، هي عين شعره ، ويتيمة درره ، ثم رأيناه آخر الامر مجسدا في بيت ، هو بيت القصيد كله ، في ديوان شعره !!

ويؤدي بنا هذا الى القول بأن في كل أمة ، من عالم الانسان ، أو الانعام ، والدواب ، والطير ، وليدها وبيت قصيدها ، الذي تتمثل فيه كل وجودها ، وتستشعر منه نبض حياتها ، وتتلقى عنه — حاضرا أو غائبا — مثلها الاعلى الذي يراود أحلامها ، وتدور في فلكه آمالها ..

فاذا كان ذلك كذلك في الكائنات الحية ، فانه في الكائن الانسان أصرح وأوضح ، سواء ذلك في ذات الانسان الفرد ، أو في محيط الاسرة والقبيلة ، أو في دائرة الشعب والأمة .. حيث لا تخلو أمة من الامم ، أو شعب من الشعوب ، من مولودها الذي تجتمع فيه خصائصها ، وتتخلق في كيانه عناصر تكوينها المادي والروحي والعقلي جميعا .. ففي الامة اليونانية « ارسطو » وفي الامة الانجليزية « شكسبير » وفي قديم الامة الهندية « بوذا » وفي حديثها « غاندي » .. وهكذا ..



للاستاذ عبد الكريم الخطيب

وطبيعى أن يتولد من هذا المنطق الذى تحكم به الطبيعة كائناتها ، أن يولد فى الانسانية المولود الذى يكون قمـــة الجنس البشرى كله ، حيث ينتهى اليه كمالها ، وتستوفى بـــه غاية حظها ، فيما تحلم بـــه من سمو ، وفيما تنزع اليه من كمال ورقى .. وأحسب أن هـــذه حقيقة لا يمارى فيها كثير من الناس ، فان يكن ثمـــة افتراء أو خـــلاف ، فهو فى هـــذا الانسان : من يكون ؟ ومن تكون الامة التى ولدته ؟ وما الظرف الزمانى الذى ظهر فى كوكبه ، ولمع فى أفقه نجمه ؟

— ٢ —

والامة الاسلامية على ايمان واجماع بأن « محمدا » النبى العربى ، الذى ولدته الامة العربية فى مكة البلد الحرام ، وعلى بضع خطوات من البيت الحرام — أول بيت لله وضع للناس على هذه الارض — الامـــة الاسلامية ، على ايمان واجماع بأن « محمدا » هذا ابن عبد الله ، بن عبد المطلب ، العربى ، القرشى ، هو مولـــود الانسانية ، الـــذى حملته فى ضميرها ، وغذته بمجاجة وجدانها ، وعصارة عقلها ، وتنقلت بـــه عبر الاجيال والازمان ، على امتداد حياتها الضاربة فى أعماق الـــزمن ، حتى جاءها المخاض بـــه فى اليوم الموعود ، والمكان المشهود ، فأخذها منه ما يأخذ الامهات لحظـــة الولادة ، وما يسرى فى كيانها من مشاعر الرهبة والخوف ، وخفقات الرجاء والامل .. وهكذا تنازع الوجود كله لحظـــة هذا الميلاد ، ومن بين يديه ومن خلفـــه ، رهب ورغب .. فرجفت قلـــوب ، وخفقت قلوب ، وغامت وجوه ، واسفرت وجوه .. وكان صباح ، وكان مساء ، واذا بين يدى الناس فى كل أفق شاهد مبين ، من هـــذا النبأ العظيم !!

فاذا تحدثت أخبار السيرة النبوية عن ميلاد الرسول الكريم ، وما واكب هــذا الميلاد من ارهاصات تنبىء عن أمر عظيم قد وقع ، أو هو وشيك الوقوع ، من شأنه أن يتغير بــه وجه الحياة كلها ، وتتحول بــه كثير من أحوال الناس فى المشارق والمغارب ـــ اذا تحدثت كتب السيرة عن كثير أو قليل من تلك الارهاصات التى واكبت مولد النبى ، فليس ذلك بمنكور أن يحدث كله ، أو بعضه ، على صورة مطابقة ، أو مقاربـــة لما تحدثت بـــه هذه الكتب ، وما صورته تلك المرويات !

فغير مستبعد أن يكون قد حدث فى زمن الميلاد ما تحدثت به كتب السيرة النبوية ، من تصدع ايوان كسرى ، وخمود نار فارس . وذهاب ماء ساوى ، وغير ذلك مما قل أو كثر ، من هذه الاخبار التى تضاف الى عوالم الجماد ، فلا يحمل ذلك على محمل الخيال الشعرى ، أو الحماس العاطفى ، فان ذلك الا يكن قد حدث كله أو بعضه على الصورة التى تحدثت بهـا كتب السيرة ، فانه جدير أن يحدث ، ان لم يكن فى اعراض هــذه الكائنات وهيولاها ، ففى صميم جوهرها وحقيقتها !!

واذا صح أن يقع مثل هذا فى عالم الجماد من ذلك النبأ العظيم ، فان وقوعه فى وجدان الناس ، وفى شعورهم ، وعلى مسرح احلامهم ، ومسبح رؤاهم ، أمر ينبغى التسليم بـــه ، وترك المماراة والجدل فيه ..!

ان فى النفس البشرية ، قوى استطلاعية متخفية ، لا يملك الانسان سلطانا عليها ، فلا تستجيب لاستدعائه ، ولا تعطيه شيئا حين يطلب اليها أن تعطيه مما عندها .. وانما هى فى ذات الانسان سلطان لا سلطان عليه ، تظهر حين تشاء ، وتعطى كيف تشاء ، ومتى تشاء !

هذه القوة المندسة فى أعماق الانسان يجد كل انسان بعض آثارها فى حياته ، على اختلاف هذه الآثار ، كثرة وقلة ، وقوة وضعفا ، ووضوحا وخفـــاء ..

ولو رصد الانسان ـــ أى انسان ـــ معطيات هذه القوة الكامنة فيه ، لوجد فيها اسرارا عجبا ، تحار لها العقول ، وتعجز عن تأويل اسرارها الافهـــام ..

فكم من مرة يلقى فى روع الانسان أن أمرا ما قد وقع أو سيقع على صفة ما ، ثم يقع على تلك الصـــفة التى استشعرهـــا هـــذا الانسان استشعارا ، وتظناها تظنيا ، دون أن يكون بين يديه شاهد منها ، أو نبأ عنهـــا !

وكم من مرة ترتسم فى مخيلة الانسان صورة لشخص ما ، من غير أن يكون له فى تلك اللحظة ، مكان فى خاطره ، أو مدار فى تفكيره ، ثم اذا بهذا الشخص يطلع عليه ، على غير انتظار ، أو توقع ؟

وكم وكم من هذه الرؤى فى اليقظة او فى المنام يراها الانسان رأى العين ، أو يجد مسها فى خفقات قلبه ، أو مسارب تفكيره ، أو خطرات نفسه ؟

ثم ان لهذه القوى الاستطلاعية فترات تستيقظ فيها ، فيكثر تحديثها الى الانسان ، ويعلو صوتها الخفيض بين جوانحه ، كما أن لها فترات تخمد فيها جذوتها ، ويفتر نشاطها ، ويخرس لسانها ..

وللاحـــداث ذات الاثر التى تنتظر الانسان فى خاصـــة نفسـه ، أو تنتظره مع الناس ـــ فى دائرة تضيق أو تتسـع ـــ لهـــذه الاحداث المقبلة أثرها فى تحريك هذه القوة الاستطلاعية فى الانسان . وفى انبعاثها من مكامنها ، لتؤدى وظيفتها فى الوقت المناسب . كـــدعوة للانسان بالتهيؤ والاستعداد ، للقاء هذا الطارق الذى يوشـك أن يدخل من غير استئذان . .

فاذا كانت الاحداث ذات طابع ثورى حاد ، تنقلب به الاوضاع القائمة فى الحياة ، ويتحول به سير الامور على غير الوجهة التى هى عليها ـــ كان ذلك مما يهيج هذه القوة الكامنة فى الناس ، ويحرضها تحريضا قويا على تشيم بروق هذه الاحداث ، وتتنسم أرواحها ، وتفتح خياشيمهـــا على مهابها ، فتلقاها قبل أن تولد فى الواقع الذى يعيش فيه الناس ، وتكشف عن وجهها قبل أن تقع عليها عين ، أو تلمسها يد !

وفى القرآن الكريم مثل واضح لهـــذا ، وهو ما كان من رؤيا فرعون التى جاءت فى قوله تعالى : « وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات » . . فلقد رأى فرعون فى هذه الرؤيا أن أمرا خطيرا سيقع ، ولكنه لم يدر هو ، ولا الملأ من حوله ، تأويل هذه الرؤيـــا ، حتى كان يوسف ـــ عليه السلام ـــ هو الذى عرف دلالـــة هذا الحلم ، ودل على تأويله . .

وحلم فرعون هذا ، ليس الا ارهاصا بالاحداث التى كانت ستستقبلها مصر ، ويتأثر بها أهلها . . واذا كان فرعون هو القائم يومئذ على أمر البلاد والعباد ، فان ما يطرقه من تلك الاحداث المقبلة أكثر مما يطرق غيره مـــن الناس ، ولهذا وقع فى نفسه هـــذا الاحساس الخفى ، الذى تحول الى حلم فى المنام ، ثم الى خبر فى تأويل يوسف له ، ثم الى واقع فيما جـــاءت به الايام ، بعد سبع سنين !!

ولك أن تسمى هذه القوة ، حاسة غير الحواس الخمس المعروفة ، خفية ، مهمتها أن تستقبل ـــ أحيانا ، وليس فى كل حين ـــ ما لا تستطيع الحواس المعروفة استقباله من أنباء وأحداث مقبلة . .

ففى المراصد ـــ مثلا ـــ أجهزة تنبىء عن العاصفة قبل أن تجىء ، وعن الهزات الارضية قبل أن تقع فى حواس الناس . . انها فى هـــذه الاحوال لا تخلق العاصفة ، ولا تصنع الهزات ، وانما كل ما فى الامر ، أنها ادق حسا ، وأسرع واسبق تأثرا من تلك الاجهزة الكائنة فى الانسان . . وعملها هنا أشبه بالسبق الصحفى فى عمل الصحافة اليوم !!

— ٤ —

نقول ان الاحداث اذا كانت ذات طابع ثورى فى الحياة ، هيجت هذه القوة الاستطلاعية الكامنة فى الناس ، ودعتها اليها ، فرأت ما لا يرى الناس ، وعرفت ما لا يعرفون . ثم عادت وألقت الى الناس بأنباء وأخبار ، يعجبون لها ، ويدهشون منها ، ويقفون بين مصدق ومكذب لها ، حتى تطلع عليهم من قريب أو بعيد . .

والنبوة أمر عظيم ، وحدث جليل ، قلما تشهد الحياة مثيلا له ، الا حين يظهر نبى ، وتظهر فى الحياة دلائل نبوته . .

ان النبوة صلة مباشرة بين السماء والارض . . فحين يظهر نبى يكون

معناه أن السماء قد صافحت الارض ، أو أن الارض قد صافحت السماء على يد انسان من الناس ، اصطفاه الله تعالى لرسالته .. انسان يتناول من عالم الحق بعض ما فيه من رحمة ، وهدى ، ونور ، ليأخذ الناس من بين يديه حظهم من الرحمة والهدى والنور ..

— ٦ —

ونبوة « محمد » — صلوات الله وسلامه عليه — آية الآيات فى النبوات، ومجتمع أنوار الرسالات، ولها من الآثار فى الحياة ما يربو على ما تفرق فى النبوات والرسالات من آثار فى المجتمع الانسانى كله .. انها ليست لشعب ، أو قبيلة ، أو بلدة ، كما كان الشأن فى الرسالات السابقة ، وليست لجيل او جيلين أو ثلاثة على نحو ما سبقها من رسالات الرسل ، وانما هى للانسانية كلها ، وللاجيال جميعها . منذ ظهورها الى أن ينتهى دور الانسانية على هذه الارض ..

فليس عجيبا أنه اذا آن أوان هذه النبوة وأظل زمانها أن يكون لها هذا الدوى العظيم فى كيان تلك القوى الاستطلاعية الكامنة فى الناس ، ذلك الدوى الذى يكاد يحيل هذه القوى الى كائنات حية ، تحدث الناس عن استطلاعاتها بلسان قوى مبين ..

وقد حدث هذا أو ما يقاربه حين بدأت الخيوط الاولى من أضواء الفجر تظهر فى آفاق الجزيرة العربية ، مؤذنة بمطلع شمس النبوة المحمدية ، بعد هذا الفجر الوليد !

فلقد استيقظت فى الناس قوى روحية تتلمس مواقع هذا النور ، وتتهدى اليه ، واتقدت فى صدور كثير منهم شرارة الايمان ، فلم يستطيعوا معها صبرا على معتقداتهم الفاسدة التى وجدوا ريحها العفن ، حين طلعت عليهم انسام النبوة ، واستطابوا شميمها الزكى العطر !

وتسجل صحف التاريخ لهذه الفترة التى قامت بين يدى النبوة ، انباء وأحداثا كثيرة مستفيضة ، من الظواهر والخوارق التى ازدحم بها زمان تلك الفترة ومكانها ، حتى بلغت حدا من الكثرة والغرابة دعا بعض الناس الى انكارها ، وتكذيبها جملة وتفصيلا ، كما دعا بعضا آخر الى قبول بعضها ، والتوقف عند بعض ، وانكار بعض ..

والذى نراه فى هذه الاخبار ، ونكاد نقطع به ، هو أن الاصول التى بنيت عليها تلك الاخبار ، أصول صحيحة سليمة ، فان ظهور النبى ، بل خاتم الانبياء لا يمكن أن يقع دون أن يقوم بين يدى موكبه من يعلن فى الناس نبأه ، ويفسح الطريق لجلال هذا الموكب الجليل المهيب !

فهذه الاحداث التى وقعت ، وتلك الاخبار التى تروى عن الذين شاهدوا أنوار النبوة قبل أن تبزغ ، وشاموا مخايلها قبل أن تظهر — هى أحداث وأخبار ، تستند — كما قلنا — الى أصول صحيحة ، وتقوم على واقع مشهود لا شك فيه . ولكن الذى يؤخذ على المرويات من تلك الاحداث والاخبار ، هو ما دخل عليها من اضافات ، وما اتصل بها ، وأضيف اليها من منحولات ، أملتها عواطف ساذجة ، أو استجلبتها خيالات مريضة ، عن نيات حسنة ، أو رمى بها مكر ماكر ، أو كيد كائد ، يريد بذلك افساد تلك الصورة المشرقة بهذه الالوان الصارخة المنكرة التى ألقيت عليها ..

وليس يعنينا نحن المسلمين ، اتباع محمد ، أن تصدق هذه المرويات جميعها ، أو لا تصدق ، فانها ان صحت لا ترفع من مقام النبى الذى رفعه الله تعالى اليه ، والذى ليس فوقه ، أو على مساماته مقام لبشر ، وان لم تصح فانها لا تنال من هذا المقـام ، ولا تنقص من ميزانه مثقال ذرة .. ذلك أن هذه الارهاصات ليست من جوهر النبوة ، ولا من ذاتية النبى ، وانها لا تعدو أن تكون نسمات مرت على روض ، فأصابت شيئا من شذا أزهـاره ، وطيب وروده ، دون أن يتأثر الروض فى بهائـه ، وجلاله ، وجماله ، بزيادة أو نقص ..

فاذا نظر ناظر فى كتب السيرة النبوية ، سواء المبالغ منها والمقتصد ، فيما يروى من أحداث وخوارق واكبت مطلع النبوة ، واستهلت مع انبثاق فجرها ، فلا عليه أن يقبل ما يقبل ، أو يرفض ما يرفض منها ، على أن يكون حسابه قائما أبدا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر ، وأن ما كساه الله تعالى به من حلل الجلال والكمال ، لا يجاوز بـه حدود البشرية فى أعلى مقاماتها ، وأرفع منازلها ..

— ٨ —

وندع حديث الخوارق والارهاصات ، دون أن نقيم حسابا لما صـح منها وما لم يصح ، ولنقم نظرنا على هذا الوليد الذى ولد لآمنة بنت وهب ، فى هذا البيت المتواضع المجاور لبيت الله الحرام ، ثم لنكن من شهود هذا المولد ، وممن يرقبون مستقبل هذا الوليد ، وما يمكن أن يكون له من وضـع فى الحياة التى يحياها قومه .. اننا هنا لا نرى شيئا مما أعده الله تعالى لهـذا الوليد من سوابغ فضله واحسانه ، وما طواه الغيب عنا من اصطفاء الله تعالى له ، ليكون خاتم رسل الله ، والمبلغ عن الله ، دين الله ، الى عباد الله جميعا ..!

وبعيدا عن جلال النبوة ، وبمعزل عن أنوارها القدسية الجليلـة المهيبة ، نرصد مسيرة هذا الوليد فى اطار من الزمن بلغ اربعين عاما ، عاشها « محمد » بين قومه ، قبل أن يكتسى بجلال النبوة ويتوج بتاجها الكريم ..

فماذا يرى الراعون فى محمد ، وفى مسيرته عـلى درب الحياة ، وليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وغلاما ، وشابا ، وكهلا ، الى أن بلغ الاربعين من عمره ، حيث التقى برسالة السماء اليه فى غار حراء ؟

فهذا انسان من الناس ، ولد لابوين كما يولد الناس ، ثم لم يتلق من الحياة إرثا من الملك أو الغنى ، كما يتلقى هذا وذاك ، بعض الواردين على الحياة من ابناء الملوك ، وأصحاب الغنى والجاه . وانما الـذى استقبله هذا الوليد ، من يوم مولده ، بل وقبل يوم مولده ، هو اليتم والفقر ، أعدى أعداء الانسان ، وأشدهما ضراوة عليه ، واستبدادا به ، وهو بعد نبتة ضعيفة واهية لم تعلق جذورها بالارض ..!

هـذا الوليد ، اليتيم ، الفقير .. ماذا تظن به ؟ وما تقدر لـه مع الايـام ؟

انه لو جرت الحياة به على مألوفها ، لكان مصيره الى الضياع فـى دنيا الضائعين من اليتامى والفقراء ، فى عالم البادية الغليظـة الجافية ، وفى كنف الصحراء ، ووجهها المتجهم الكالح ..!

ولو اننا احسنا الظن بالحياة فى شأن هـذا الوليد اليتيم الفقير ، لما بلغ بنا الظن فيه على ابعد الاحتمالات ، وأكثرها تفاؤلا ، الى أكثر من أن يكون فتى من فتيان قريش ، يلعب مع اللاعبين ، ويلهو مع اللاهين ، ويقطع أيامه ولياليه فى معاقرة الخمرة ولعب الميسر ، وفى مغازلـة النساء ، ومخالكة القيان .. ثم ينتهى به الامر فى شيخوخته الى أن يكون شيخا من شيوخ قريش ، يأخذ مكانه بين رواد الندوة ، يأخذ ويعطى مما يدور من احاديث الجد والهزل فيها ، ثم تطويه الايام فيما طوت من سادات قريش وصعاليكها ، لا يكاد يجرى له ذكر ، أو يعلق بـه خـاطر ، الا عند من خلفهم وراءه من أهل وخلان فى زمن ينتهى بانتهاء جيله ، ثم يعفى عليه النسيان الى آخر الدهر !

اليس هذا كل ما يمكن ، وغاية ما يتصور أن تدور فى فلكه حياة هذا الوليد الفقير اليتيم ، الذى ولدتـه آمنة بنت وهب ، وسمته « محمدا » ودرجته فى سجل المولودين من مواليد قريش ؟

ولكن الذى جاء من هذا الوليد اليتيم الفقير ، منذ أيامه الاولى ، وعلى كل خطوة خطاها فى الحياة بعد هـذا ــ كان شيئا خارجا عن كل تقدير ، مجاوزا كل حساب ، بعيدا عن مواقع كل ظن !

واحسبك تنتظر من وراء هذا القول انى احدثك عن احداث خارقة ، وعجائب مذهلة ، تطلع عليك من كل خبر من أخباره ، وكل مـوقف من مواقفه .. وليدا ، وصبيا ، وفتى ، وكهلا ..

وكلا ، فان شيئا من هـذا لم يحدث ، وان يكن حدث كثير أو قليل منه فان أحدا يومئذ لم يلتفت اليه ، ولم يقف عنده .. وان يكن فى الناس من التفت اليه ، أو وقف عنده ، فما كان لهذا اليتيم الفقير حساب فيه .. كل شيء فى محيط هذا الوليد ، كان يجرى فى مجراه المألوف .. فلم تهبط عليه ثروة مفاجئة تتبدل بها حاله ، ولم يتحول فى قريش شيء عما عهد فيها ، من خير وشر ، ومن جد ولهو ، ومن رشاد وغى .. والصحراء هى الصحراء كما عهدها ساكنوها ، لم يتغير وجهها المتجهم ، وما يعلوه من جفاف وجدب ، وما يتعاور عليه من زمهرير الشتاء ، وسموم الصيف !

لقد ظل كل شيء هناك كما عهده الناس .. اليتيم على يتمه وفقره ، وقريش على عهدها فى صحوها ونومها ، والحياة على سيرها فى نهارها وليلها ، وكأن شيئا لم يكن قد دخل على تلك الحياة ، وكأن قدرا من الاقدار المسعدة التى يتغير بها وجه هذا الوجود لم يكن نجم فى سمائها ، وطلع فى أفقها ، وكأن هـذا الوليد اليتيم الفقير لم يكن عما قليل سيملأ اسماع العالمين ذكره ، ويبدد ظلام الوجود نوره .. وهكذا ظل هذا النور القدسى مطويا فى ضمير الغيب ، يتحرك فى كيان الحياة فى هينة ورفق ، الى أن يبلغ الكتاب أجله ، ثم يصبح الناس ذات يوم ، واذا هذا اليتيم الفقير ، هو محمد رسول الله ، خاتم النبيين ، وهادى الانسانية الى الحـق ، والى صراط مستقيم !!

— ٩ —

لقد كان هذا اليتيم الفقير يصنع بيد العناية الربانية حياته على طريق النبوة ، دون أن يشعر .. يصنعها فى رفق وعلى مهل ، صادر فى ذلك عن

طبع غير متكلف ، وعن شعور غير مصطنع ، وعلى طريق غير مطروق من أحد .. فهو يصدق القول حين يكذب الناس ، وهو يؤدى الامانة حيث يخون الناس ، وهو يعف عن الخمر ، حين يتهافت عليها الشيب والشباب ، وهو يعزف عن اللهو ، حيث يتهالك عليه الرجال والغلمان ، وهو يحقر الاوثان ويشيح بوجهه عنها ، اذ يتخاشع لها قومه ، ويسعون الى مراقدها مصبحين وممسين .. كل ذلك وما اليه من الشمائل الحلوة ، والصفات الكريمة الحميدة ، كان يدور فى فلك « محمد » ويرسل نوره الوديع فى رفق ولطف ، دون أن تنبهر به عين ، أو يغشى به بصر ، ودون أن يثير فى الناس ضجة ، أو يحدث فى الحياة هزة .. لانه — كما قلنا — يصدر عن طبيعة لا تكلف فيها ، ويتدفق من فطرة سليمة ، لا صنعة معها ..!

ولقد تسأل ويسأل الناس : من أين لهذا اليتيم الفقير ، بهذا الادب العالى الرفيع ، ومن أين له بتلك الاخلاق المجتمعة من الفضل والنبل ، والجامعة لكل معانى الفضل والنبل ، فى بيئة أمية ، غارقة فى الجهل والضلال ، تائهة فى غياهب الرمال والجبال ؟

انه قد يتهيأ لانسان فى مثل هذه الظروف أن يستقيم على خلق فاضل ، ولكن بعيد أن يستقيم العمر كله على هذا الخلق ، دون أن يهتز أو يتبدل .. وانه لابعد من هذا ، وأدخل فى باب المستحيل أن يجمع انسان بين اثنتين أو ثلاث من تلك الصفات الفاضلة ، وأن يمسك بها جميعا فى قوة واستقامة ، دون أن ينفرط عقدها ، ويتبدد شملها ..!

وانى لهذا اليتيم الفقير ، فى هذا الجو العاصف ، وفى تلك الحياة الجديب المكفهرة — انى له أن يربى نفسه هذه التربية العالية ، وأن ينشئها تلك التنشئة الرفيعة ، وأن يحوز كل هذه الفضائل التى خف ميزانها فى قومه ، وغربت شمسها فى مجتمعه ؟ وانى لهذا اليتيم الفقير — فى هذا المكان ، وفى تلك الظروف — أن يتخلق بأخلاق الانبياء ، قبل أن يلبس ثوب النبوة ، ويتوج بتاج خاتم الانبياء ؟

انه صنع رب العالمين ، وفضل أرحم الراحمين ، يصيب به من يشاء من عباده : « ذلك فضل الله ، يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .. ذلك هو مقطع القول ، وكلمة الفصل ، فيما يسأل عنه من أمر محمد ، قبل البعثة وبعدها ..

— ١٠ —

ان النبوة التى تلقاها « محمد » من فضل ربه ، على رأس الاربعين من عمره ، هى التى جاءت بتأويل كل ما عرف الناس ، وما شهدته الحياة من أمر « محمد » منذ مولده ، بل ومن قبل مولده الى مبعثه ، مما لم يكن يستبين منه شىء للمتوسمين فى وجه (محمد) والمشاهدين لخطواته الرشيدة المستقيمة ، فى كل متجه اتجه اليه ، قبل مبعثه ..

ومن هنا بدأ الناس يلقون نظرا مجددا على كل شأن من شئون (محمد) منذ حملت به أمه .. فكان حمله حدثا ، ومولده عجبا ، وخطواته على الحياة معجزات ومذهلات !

ان الذين ينظرون الى « محمد » جنينا ، ووليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وغلاما ، وشابا ، وكهلا — انما ينظرون الى « محمد » النبى ، بعد أن

أشرقت شمس نبوته ، واكتحلت بسنا نورها عين الوجود .. فلا عجب أن يكون كل حدث مهما يكن شأنه محسوبا بحساب النبوة ، موزونا بميزانها ، طالعا من سمائها .. وهذا حق لو سلم من طغيان العاطفة الجامحة ، أو خلص من استبداد الهوى الغالب !!

ان العقل لا ينكر أبدا أن يكون « محمد » فــي جميع أدوار حياته محفوفا بالعناية الربانية ، ممدودا بألطافهــا ، اذ كان مرشــحا لنبوة النبوات ، وخاتمة الرسالات .. والله سبحانه يصنع لانبيائه فوق ما يصنع للناس جميعا ، قبل النبوة وبعدها .. يقول جل شأنــه في يحيى عليه السلام : « وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا » فكيف بما يصنع الله لصفوة رسله ، وخاتم أنبيائه ؟

وحسبنا في هذا المقام أن نشير الى ظاهرة أو ظاهرتين مما يمكن أن ينظر اليه ــ بعد النبوة ــ على أنه من ارهاصات النبوة ، ومن آياتهــا البينة ، قبل أن تطلع شمس النبي !

فليس من قبيل المصادفة أن يكون « محمد » هو الاسم الذي أطلقته آمنة على وليدها ، دون غيره من الاسماء الشائعة في قومه ، كعبد الدار ، وعبد شمس ، وعبد ود ، وعبد يغوث ، وحرب ، وحزن .. ونحو هذا مما يحرص الآباء على تسمية أبنائهم بــه ، ومما يعد ميراثا متنقلا في أجيال القبائل والعشائر ..

ان اسم « محمد » لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ، ولم يسم بــه عربي ، أو قرشي قبله .. فمن أين لابنة وهب بهذا الاسم الذي بشر بــه المسيح ، علما على هذا النبي العربي ، كما يقول تعالى على لسان المسيح : « ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ؟ و « محمد » هو الاحمد ، والمحمود ، والحامد ..!!

ثم ما تأويل هذه الموافقات من الاسماء التي ولدت محمدا ، ونشأته في حجرها ، وأرضعته من ثديها ؟

فأبوه « عبد الله » لا عبد العزى ، ولا عبد الدار ، ولا عبد ود .. انه عبد الله ، وليس عبدا لصنم من تلــك الاصنام التي تعبد لهــا آباؤه وأجداده ، وأضافوا وجودهم وذواتهم اليها ..

وأمه « آمنة » .. لا خنساء ، ولا عاصية ، ولا رباب ، ولا هند ، ولا دعد .. انها أمن وسلام ، حملت في بطنها الامن والسلام الى العالمين ..!

وأبو أمه « وهب » .. لا جمح ، ولا لهب ، ولا شداد .. انه وهب الحياة لهذه الام المباركة التي ولدت « محمدا » !

ومرضعة « محمد » « حليمة » .. لا عفراء ، ولا عنيزة .. بل هي « حليمة » أرضعته الحلم ، وبنت كيانه منه ..

وبنو « سعد » دار حضانته ، ومرتع صباه ، لا بنو أسد ، ولا بنو ضبة ، ولا بنو نمير .. انه هلال سعد ، طلع في أفق بني سعد ، ثم ما زال يدرج في منازل السعود ، حتى صار بدرا ، يبدد ظلمة الليل ، ويــكون للمستوحش أنيسا ، وللحيران دليلا ، وللسهران مسامرا ..

« محمد » .. « آمنة » .. « وهب » .. « عبد الله » .. « حليمة » .. « بنو سعد » .. هي فرائد من كريم الاسماء والصفات ، انتظم منها عقد هــذا النسب الكريم ، لمن اصطفاه ربه هدى ورحمة للعالمين ..

هذه واحدة الى مئات ومئات كثيرة غيرها ، يجد فيها الناس ريــح

النبوة ، قبل أن يلتقوا بالنبى ، وتصافح عيونهم انوار ذاته العلوية البهية !

أما محمد النبى ، فان وصفه يجل عن الوصف ، وان هباته الجليلة ، وعطاياه العظيمة للانسانية تستعلي عن الحصر ، وحسب محمد أن يقيم للناس دينا قيما ، محررا من الشرك والعبودية لغير الواحد المعبود .. وحسب محمد أن يقيم على هدى هذا الدين أمة وصفها الحق سبحانه وتعالى بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .. وحسب محمد أن يكون ميراث الانسانية منه هذا الهدى الذى يقوم فى القلوب والعقول مقام ضوء الشمس فى العيون ، والذى من بعد عنه ضل ، ومن اتخذ سبيلا غير سبيله خاب وخسر ..!

— ١١ —

وندع ما يقول اتباع محمد فى محمد ، وما شهدوا من معجزاته ، وما حفظوا من سيرته ، فقد يكون هذا بمظنة من المبالغة أو التجوز ، فى مقام الحب والولاء ، شأن المحبين مع من يحبون ، حيث تكون الكلمة للقلب ، لا للعقل ، وللوجدان ، لا للادراك ..

ولكن ماذا يقول القائلون فيما تنطق به فى الحديث عن « محمد » السنة لم تعطفها على « محمد » أية عاطفة من قرابة جنس ، أو لغة ، أو دين ، ولم يكن منطقها فيه قائما على غير منطق العقل المجرد ، امام الحقائق السافرة التى ينزل العقل على حكمها ، ويفقد وجوده واحترامه ان هو كابر فيها ، فأنكرها ، أو سكت عنها ؟

واحسب أن عاقلا لا يقبل أن يتهم رجلا مثل « لامارتين » شاعر فرنسا العظيم ، بأنه كان مجاملا أو محابيا لمحمد ، اذ يقول فيه : « انه نبى اقل من إله ، واعظم من انسان » .. ان لامارتين اذ يقول هذا فى نبى الاسلام لم يكن واقعا تحت تأثير أية عاطفة غير عاطفة الاجلال والاكبار لهذا الجلال المهيب ، الذى يطلع عليه من كل افق ينظر فيه الى هذا الانسان العظيم ..!

واحسب أن عاقلا يحترم عقله يتهم فيلسوفا عظيما من فلاسفة القرن العشرين هو (برنارد شو) بأنه كان واقعا تحت تأثير أية قوة غير قوة الحق ، وهو يشهد شهادة الحق ، عن علم ، ودراسة ، وتمحيص ، فيقول فى محمد ، وفى الدين الذى جاء بــه محمد : « لقد كان دين محمد موضع تقديرى العظيم دائما ، لما ينطوى عليه من حيوية معجزة ، لانه على ما يلوح لى ، الدين الوحيد ، الذى له ملكة الهضم لاطوار الحياة المختلفة ، ولذلك فانه يستطيع أن يجذب اليه كل جيل من الناس » !!

أما فيلسوف المانيا العظيم « جوته » فيقول ، وهو يستعرض الدين الاسلامى ، بوصفه قوة من أعظم قوى التهذيب والتأديب .. يقول « جوته » مخاطبا صاحبه : « اكرمان » : « أنت ترى أن هذا الدين بتعاليمه تلك لا يخفق أبدا .. ونحن بكل ما لنا من نظم لا نستطيع ، بل أقول بوجه عام : ان احدا من البشر لا يستطيع أن يذهب الى ابعد من هذا » ..

فهذا قول فيلسوف غزا العالم بفلسفته ، ولفح العقل الحديث بآرائه !!

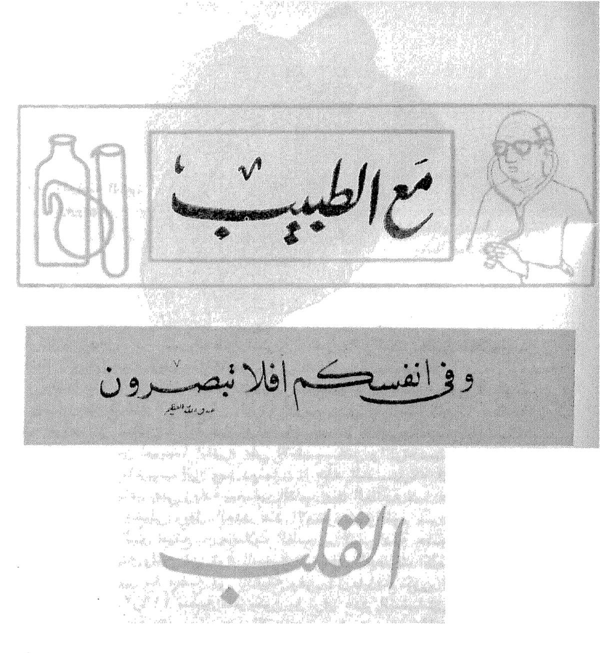
ونختم مقولات فلاسفة الغرب وعلمائه بما يقول العالم العالمى ، « ول ديورانت » صاحب الموسوعة التاريخية : « قصة الحضارة فى العالم » .. فكلمة هذا العالم لها قدرها ووزنها فى هذا المقام، حيث شملت

نظرته الموسوعية العالم كله ، قديما وحديثا ، واشخاصا واحداثا ..
يقول « ول ديورانت » :
« اذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من اثر فى الناس — قلنا أن محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والاخلاقى ، لشعب القت به الحياة فى دياجير الهمجية ، وحرارة الجو ، وجدب الصحراء .. وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله !!
ثم يقول :
« واستطاع دين « محمد » فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة ، وفى قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة ، وأن يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى العالم .. »
هكذا يقول فى الاسلام ، وفى نبى الاسلام ، كل منصف ، مسلما كان أو غير مسلم ، لان ذلك هو الحق الذى لا يتغير وجهه أبدا ، اذا استقبلته قلوب سليمة من آفات الهوى ، ونظرت فيه عقول محررة من قيود التعصب ، والحسد ..

ولسنا نذهب بعيدا اذا قلنا ان الذين انصفوا الحقيقة فى محمد ، وفى دين محمد ، من علماء الغرب وفلاسفته ، لم تكن آراؤهم تلك التى أعلنوها على الملأ مجرد كلمات صوروا بها تلك الحقيقة التى استبانت لهم ، وانما كانت آراؤهم هذه منهج سلوك ، واسلوب عمل فى حياتهم العامة والخاصة .. فكانوا يتأسون بمحمد ، ويترسمون خطاه ، وان لم يعلنوا أنهم من المسلمين .. انهم مسلمون عملا لا قولا ، واتباع محمد حقا لا ادعاء !!

ولسنا نذهب بعيدا كذلك اذا قلنا ان أكثر المسلمين من اتباع محمد ، لم يجاوزوا حدود الكلام عما يعرفون من أخلاق « محمد » وشريعة الدين الذى جاء به محمد — لم يجاوزوا حدود الكلام الى العمل ، والى التأسى برسول الله ، والاستقامة على طريقه .. ولو أنهم فعلوا لما كان حال المسلمين اليوم مما يسوء الصديق ويسر العدو ، بل لكانوا قادة ركب الانسانية ، وحارس أمنها وسلامها ، ومصباح نورها وهداها ..
وها نحن أولاء اتباع « محمد » نستقبل مولده العظيم ، كما يستقبل المريض ريح العافية ، وكما يستقبل التائه فى الصحراء وجه الدليل ..
فليكن احتفاؤنا بهذا المولد ، وتكريمنا له ، أن نخرج مما نحن فيه من قواقع الجمود ، والتواكل ، والجهل ، والبهيمية ، وأن نولد ميلادا جديدا فى الحياة ، على سنا أضواء هذا الميلاد العظيم ، الذى أشرقت به الدنيا ، فنتيم وجهنا فى هذه الحياة على هدى وبصيرة ، فى ظل الاسوة الحسنة برسول الله ، وبالنجوم الزاهر من أصحاب رسول الله ..

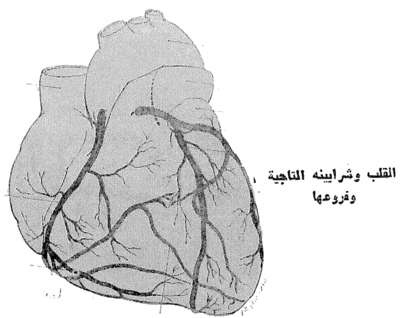
فصلوات الله ، وسلامه عليك أيها النبى ، يوم ولدت ، ويوم مت ، ويوم تبعث حيا .. ورضى الله تبارك وتعالى عن آلك وأصحابك ، ومن أقام وجهه على طريقك ، واهتدى بهديك الى يوم الدين .



للدكتور/محمد محمد ابو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى

تباركت ربى خلقت الانسان فأبدعت صنعه ــ وجعلت من خلقه معجزة تحير الالباب وتبهر العقول ــ انت القائل : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » . وقولك : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » . وها نحن معشر الاطباء ــ ومعشر العلماء فى شتى العلوم والمعرفة نقف فى رحاب علمك حيارى من امرنا ، نبذل قصارى جهدنا ونخترع الآلات ، ويزداد عدد المكبرات ، وبعد هذا كله نرد مبهوتين ونرى الا نستحق بعد كل هذا الا قولك الحق : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . .

ها هى الخلية وحدة تكوين أعضاء الجسم ، نقول انها تتكون من جدار يحوى بداخله النواة وما حول النواة ــ ونصف ما فى هذا وذاك حتى نصل الى مادة السيتوبلازم فنقول وهى مادة حية ولا نعرف كنه حياتها ولماذا هى كذلك ؟



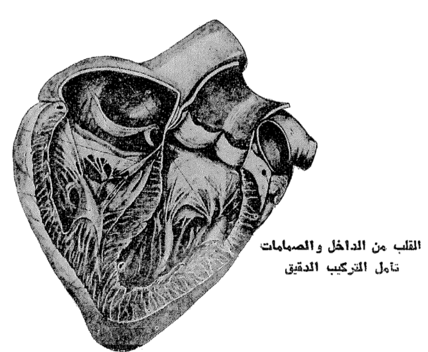
القلب وشرايينه التاجية وفروعها

فاذا كنا قد عجزنا عن فهم الوحدة المكونة ، فما بالنا امام ملايين الملايين من الخلايا المكونة لاجزاء الجسم المختلفة .

ولنبدأ بالقلب ــ هذا العضو الهام من الجسم ــ والمضخة التى لا تتوقف من يوم أن تبدأ العمل الى يوم أن يفارق الانســـــان منا هذه الحياة .. هذا القلب يتركب من الياف عضلية خاصة لها خصائصها ، فهى ليست كعضـــلات الحـــركة وتتميز بأن لهـــا القدرة على الانقبـــاض والارتخـــاء فى حركة منظمة دقيقة تعد بالثـــوانى وما دونها .. هذه الحـــركة التى لا تتوقف تغذيها أعصاب تساعد على زيادة نبضات القلب عند الحاجة كما هو الحال عند القيام بأى مجهود عضلى ويقل العدد عند الاسترخاء والنوم ــ هذا النظـــام المتناهى فى الدقة الذى تتمتع به عضلات القلب ــ لا فى دقة حساب المسافات بين النبضة والنبضة ولكن فى قوة النبضة ، فنجد النبضات كلها على وتيرة واحدة حوالى ٧٠ ــ ٨٠ نبضة فى الدقيقة وفى ٢٤ ساعة تكون النبضـــــات ٨٠×٦٠×٢٤=١١٦٫٢٠٠ نبضة فكم يكون يا ترى عدد النبضات فى الاسبوع وفى الشهر وفى السنة وفى سنى عمر الانسان ــ وتستمر هذه المعجزة الخارقة فى هذه النبضات التى يحيا بها الانسان ما شاء الله أن يقضى من العمر وصدق شوقى حين يقول :

دقـــات قلب المرء قائـــلة له ان الحيـــاة دقائق وثـــوان

ويحاول العلمـــاء وما زالوا فى محاولاتهم سنين وســـنين يقلدون هذه الدقات بقلب صناعى ليحل محل القلب الطبيعى ــ وفشلوا المرة بعد المرة ــ وكم من ملايين الدولارات صرفت فى هذا المجال دون ما فائدة ــ ولا اقول ذلك ضنا منا على العلم ولكن لابراز هذه القدرة الالهية فى عمل واحد من أعمـــال القلب . ولو أطلت فى هذا المجال لوجدت نفسى والقارىء فى متاهات لا حـــد لها ولكن لأبسط الامر وليضع الواحد منا يده على شريان من شرايينه ويجس نبضه ــ أو يسمع دقات قلبه وهو مضطجع بالليل فى هدوء تام ويلاحظ هـــذا النظام الدقيق ــ ثم لينظر ماذا يحدث له لو اختل هذا النظام لبضع دقائق او حتى لثوان ــ وتأتى دقة ليست فى آوانها ــ ويحس كأن روحه ذاهبة وجسمه ينهار ــ وكم من مريض أسهده هذا الخلل الطارىء ــ وراح مستنجدا بمن يجيره من هـــذا الذى نســميه عـــدم انتظـــام القلب ، يتســـــاوى فى ذلك من اسرع قلبه او بطؤ من تخلل نبضات قلبه الطبيعية نبضـــات زائدة وتجـــرى الفحوصـــــات لمعـــرفة السبب من اضـــــطرابات فى القلب نفسه ــ أو أسباب خارج القلب ــ كزيادة افراز الغدة الدرقية أو خمولها ــ



القلب من الداخل والصمامات
تأمل التركيب الدقيق

أو اضطرابات نفسية — أو اضطرابات فى الجهاز الهضمى . وما الى ذلك من أسباب — يحاول الطبيب التوصل اليها فيعرف الداء ويصف الدواء .

ويتخلل عضلات القلب جهاز أكثر تعقيداً ، ألا وهو جهـــاز التوصيل يبـــدأ من بؤرة فى الاذن اليمنى ويمــــــــر ما بين الاذنين ثم يتفرع الى البطينين ، وهذا الجهـــاز تسرى فيه الشـحنة التى تسير بسرعة مدهشة فتعطى الاوامر للعضلات فتنقبض وتسرى بالترتيب من الاذين الايمن الى البطين الايمن الذى ينقبض فيدفع الدم الى الرئتين ويسرى الدم منهما الى الاذين الايسر الذى ينقبض فيدفع الدم الى البطين الايسر وهذا الاخير يدفع بالدم الى الابهر ليوزعه الى الجسم . هذه الحلقة الكهربية الباهـــرة التى تسير فى منتهى الدقـــة لسنين شاء الله أن يحياها الانسان دون ما توقف ، أنى لمعامل الدنيا — أن تقلد جزءا منها بهذا النظام السوى المتين . وهل منا من لم يواجه توقف التيار الكهربى فتعطل العمل أو صارت حياته فى ظلام دامس الى أن يعاد مرور التيـــار — مهما كانت دقة من يقومون على صيانة هذا التيار .

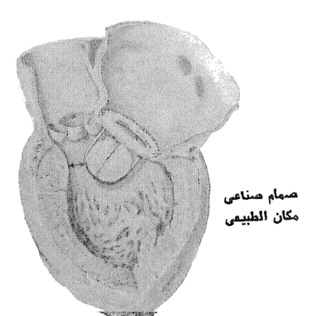
هذا الجهاز ربما يصاب بمرض كذلك فيتوقف مرور التيار وترتبك نبضـــات القلب أو ربما يحدث به خلل فيموت فى القلب ذبذبات ، أو ربما يتوقف مروره ما بين الاذين والبطين فينقبض كل على حده وفى النهاية يؤدى الى هبـــوط فى القلب وفى بعض أمراض القلب الحادة الشديدة يتوقف كلية واذا استمر لفترة طويلة فارق المريض الحياة .

والامثلة واضحة للعيان أمام أعيننا نحن الاطباء ونحاول أن نزيل الذبذبات بالعقاقير أو بالآلات — واذا توقف القلب حاولنا أن نعيد اليه نبضاته بتيارات كهربية وان نجحنـــا ولو لبعض الوقت فى حــــالة فاننا نفشـــل فى عشرات بل مئات الحالات — ونعجز أمام القدرة الالهية العظمى وتلتف حول المريض ونشاهد بأعيننا وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة ونذكر قول البارى فى علاه .

« فلولا اذا بلغت الحلقوم ، وانتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صـــادقين » وأنى لنا أن نرجعها ورب العزة والجبروت قابضها .

ومن أجزاء القلب الهامة الصمامات ، صمام ما بين الاذين الايمن والبطين الايمن وصمام فى مدخل الشريان الرئوى بين الشريان والبطين الايمن ثم صمام ما بين الاذين الايسر والبطين الايسر وصمام بين البطين الايسر والابهر وهو صمام الأبهـــــر .

هذه الصمامات المختلفة تختلف فى تركيبها وفى حجمها ، فى قوة اتصالها



بالقلب والاوتار التى تربطها به فى عملها — والفاحص المدقق فيها يحار فى قدرة صانعها — ويا لها من قدرة التى تجعل الصمام يفتح ويغلق فى وقته المحدد لا يؤخر ولا يقدم فى جزء بسيط من الثانية — بل كل شيء بمقدار .

ويريد البارى فى علاه أن يجعلنا نحس بنعمائه فيبتلى البعض بمرض خلقى لا يمكن أن تستمر معه حياة — واذا اصيب احد هذه الصمامات أو اكثر من واحد بمرض — كما هو الحال فى مرض روماتيزم القلب — أو تكلس صمامات القلب فاما أن يضيق هذا الصمام أو يتهتك ويتسع — وفى كلتا الحالتين لا يستقيم للقلب عمل — ويتعرض لهبوط ان عاجلا: أو آجلا .

ونحاول نحن الاطباء جاهدين لنصلح خلل الصمامات ، فان كان هذا الخلل طفيفا وخصوصا اذا كان الخلل قد أدى الى ضيق فى الصمام ، حاولنا توسيع هذا الصمام حتى نهيىء للمريض حياة تبعده عن نوبات هبوط القلب وربما ننجح لفترة طالت أو قصرت ولكن ربما يعاود الخلل الصمام — اما اذا كان الصمام قد تهتك واتسع فاننا نكون فى مأزق أشد — وقد حاول الجراحون أن يقللوا من هذا الاتساع بشتى الطرق — ولكن أنى لهم هذا وباءت كل محاولتهم بالفشل ، ثم توصلوا الى وضع صمام من البلاستيك بدلا من الصمام الطبيعى — ولكن سرعان ما وجدوا أن هذا ربما يعمل فترة ثم تظهر المضاعفات من تجلط الدم حول الصمام — يؤدى الى تجلط فى الشرايين الهامة كالتى تذهب الى القلب أو الى المخ أو الى غيرها من الاعضاء .. ثم استعاضوا بالصمام البلاستيكى صماما ينقل من قلب متوفى — وما زالت التجارب تشق طريقها — ومدى صلاحية هذه الصمامات ومنتهى فعاليتها . وفى بعض الحالات التى يكون قد استفحل امرها واثرت على معظم الصمامات وأرهقت القلب — بدأوا بزراعة القلب ..

واعيد القول هنا ، أن الدين يشجع العلم ، ويرفع من قدر العلماء وما من دين حث على العلم كالدين الاسلامى — وآياته الباقية شاهدة بذلك : « فلينظر الانسان مم خلق » .. « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله .. من شيء » . أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » . وغير ذلك من الآيات التى تحث على العلم والبحث . ولكن أردت أن ابرز القدرة الخارقة وراء هذا الصنع المتناهى فى الدقة والذى يستمر السنين العديدة دون ما خلل أو عطب اللهم اذا أصيب الانسان بمرض شاءه الله له ..

وتشاء قدرة القادر العظيم ان تجعل هذه الصمامات وامتداد الغشاء المبطن للقلب من الداخل فى حالة ملساء حتى لا تلتصق به الكرات الدموية الحمراء أو صفائح الدم فتساعد على صنع جلطات دموية تذهب فى شرايين الجسم المختلفة فتحرم أجزاء من الجسم من الدم الذى هو سبب حياتها .

وللقلب شرايينه الخاصة به والمعروفة باسم الشرايين التاجية والذى يدقق فى الصفة التشريحية للقلب يجد العجب فى شريان هذه الشرايين — فى وضعها وفى تغلغلها داخل القلب والاجزاء التى يمدها كل شريان من الشرايين — وفى كيفية عمل هذه الشرايين حينما تمتلىء وحينما تدفع ما بها من دم فى عضلات القلب لتقوم بعملها الذى يلائم هذا العضو الهام من الجسم ، وكيف أنها تحتفظ دائما بفاعليتها حتى لا يتعرض القلب لأى اضطراب وهى فى قدرتها هذه كقدرة صاحبتها التى تغذى المخ — اذ ان كلا منها من الاعضاء الجوهرية فى الجسم وليس ببعيد على كل قارىء ما يحدث للانسان عند حدوث خلل سواء أكان طفيفا فى الشرايين وما سببه من ذبحة صدرية أو انسداد فى الشريان وما يسببه من مرض الجلطة أو السدة القلبية المعروف ، ويساعد على مرض الشرايين التاجية مرض البول السكرى — والسمنة ، والتدخين ، ومرض ارتفاع ضغط الدم — وما أولى المرضى بهذه الامراض أن يعالجوا ما الم بهم من مرض حتى يحافظوا على سلامة هذه الشرايين التاجية الهامة .

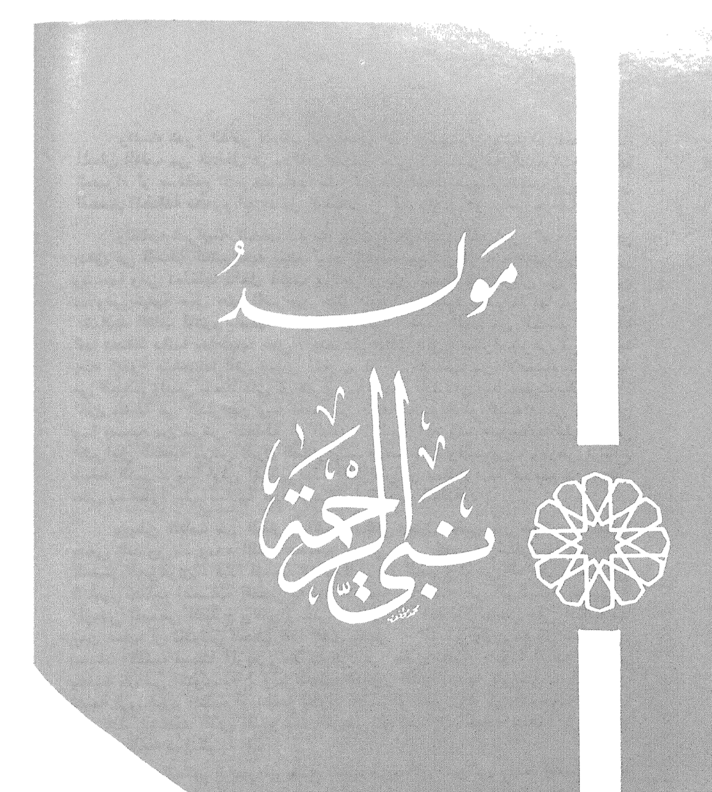
ويبطن القلب من الخارج غشاء أملس رقيق مكون من طبقتين رقيقتين يدعى التامور — ومده الله بأعصاب الحس حتى يكون حارسا امينا على هذا العضو الجوهرى ، فاذا اصاب القلب اذى من الخارج او من الداخل وامتد الى التامور حملت اعصاب الحس به نبأ الاصابة وترجمته الى الم شديد يحس به المريض فيسعى للعلاج والدواء حتى لا تأتى اى آفة ولا مرض على القلب — ومن عجيب أن ناقوس الخطر هذا الذى يحس به المريض يكون مع كل نبضة من نبضات القلب ليحث المريض فلا يتوانى فى علاج نفسه ، وما أشده من الم يحسه كل من اكتوى به . وما التهاب التامور الذى يسببه فيروس — أو يكون نتيجة لروماتيزم القلب أو نتيجة لتدرن به — أو لغير ذلك من الاسباب الا مثل حى للالم الشديد الذى يشكو منه المريض فيسعى الى طبيبه جاهدا فى أسرع وقت ليعالجه مما الم به . .

ويشاء الحكيم الخبير ان يضع القلب فى مكان أمين فى وسط الصدر خلف عظم قوى هو عظم القص ويغطى معظم الجزء الباقى منه بالرئتين حتى يكون بعيدا عن المخاطر التى يتعرض لها الجسم .

هذا هو قلبك ايها الانسان الذى كرمك ربك ومن حقه عليك أن تشكره ، وتحافظ على نعمته هذه وتبتعد جاهدا عما يضره من تدخين لا يجدى نفعا ، وتعرض الافراط فى البدانة تجهده — وامراض مثل الضغط والبول السكرى لا بد من معالجتها ، والاسراع فى علاج كل مرض يلم به فان الله قد خلق الداء والدواء .

ولتكن بقلبك هذا مع الله الذى خلقك من عدم وقال وقوله الحق :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . — ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » .



قبل مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم كان العرب فى حالة من الفوضى والاضطراب ، والتفكك والارتباك ، وسوء الاحوال ، وكانت الوثنية فاشية فيهم يتخذ اهل كل بيت صنما يعبدونه ، او يتقربون به الى الله ..

وليس بينهم جامع يجمعهم ، ولا قانون يسودهم ، ولا حاكم يسوسهم ، سوى العصبيات القبلية التى تبنى على التحزب الأعمى .

ولم يكن حال الامم الاخرى بافضل من حال العرب ، فى كثير من النواحى ، خصوصا حال دولة الفرس في الشرق ، ودولة الرومان فى الغرب .

للشيخ عبد الحميد السائح

ويصور الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الحالة في تينك الدولتين بقوله : « كانت الدولتان في تنازع وتجالد مستمر ، دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الاحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والاسراف والفخفخة والتفنن في الملاذ بالغة حدا لا يوصف ، في قصور السلاطين والامراء ورؤساء الاديان من كل أمة .

وكان شره هذه الطبقة من الامم لا يقف عند حد ، فزادوا في الضرائب، وبالغوا في فرض الاتاوات ، حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم ، وأتوا على ما في أيديهم من ثمرات أعمالهم ، وانحصر سلطان القوى في اختطاف ما بيد الضعيف ، وفكر العاقل في الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب من ضروب الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب ، لفقد الامن على الارواح والاموال .. الخ (١) » .

واذا كان حال العرب وغير العرب بهذا السوء وأكثر منه فقد تهيأت البشرية لتتلقى منقذا ينقذها من ضلالتها ، وهاديا يدلها على طريق رشادها وصوابها ، فكانت ولادة الرسول الاعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وكان أن بعثه الله سبحانه للبشرية جمعاء ، وللانسانية عامة ، رحمة وهاديا ومرشدا ومنقذا ..

قال تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (٢) ، وقال أيضا : « وما أرسلناك الا كافة للناس »(٣) وقال سبحانه : « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا »(٤) .

ولذلك كانت رسالته الى الناس عامة ، لأن الحاجة للاصلاح والانقاذ كانت عامة ، وقد قامت دعوته على وحدانية الله وعبادته ، وارتباط الانسان بخالقه ، كما قامت على الرحمة والحرية والعدالة والانصاف ، وقد هيأ الله لهذه المهمة الكبرى والرسالة الانسانية العظمى ، نفسا كانت في ذروة

الصفاء والنقاء ، مجندة لانقاذ الانسان من جهالاته ، وانتشاله من تخبطه وضلالاته ، واحاطته بالرحمة الشاملة ، والعناية الكاملة ، لا تحمل حقدا ولا ضغينة ، هدفها ان يسمو الانسان ليحتل مكانة الكرامة التى اختصه الله بها ..

قال سبحانه : « الله اعلم حيث يجعل رسالته »(٥) .

فسار المصطفى المختار فى سبيله ، وجل همه أن يهتدى اى انسان لطريق السداد ، وان تسلم اية نفس من مهاوى الشر والفساد ، ويعتبر ذلك نصرا عظيما ، ونجاحا كبيرا ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لسهل بن سعد — رضى الله عنه « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم »(٦) .

وذلك لأن هذا الرسول الاعظم لا يقصد الدنيا ومباهجها ، وانما يقصد اصلاح البشر ، وانقاذ الانسانية من سفاهتها وضلالتها ، واحاطتها بالرحمة والرعاية ، ولذلك كان فى سيرته رؤوفا رحيما ، ويعتبر الرحمة من أهدافه ، وافضل مناهجه ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » (٧) . ويقول أيضا : « ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء »(٨) . وقال أيضا : « والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا » ، قالوا كلنا رحيم يا رسول الله ، قال « انه ليس برحمة أحدكم — يعنى نفسه وخاصته — ولكنها رحمة العامة »(٩) . وقال أيضا : « لا يرحم الله من عباده الا الرحماء »(١٠) .

وعن أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : « ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى »(١١) .

فهذا الرسول العظيم الذى جنده الله منذ نشأته ليحيط العالم برحمته ، ويشمل الناس برأفته ، ويكون القدوة فى مسلكه ، منحه الله سبحانه وسام التقدير الاعظم بقوله سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم »(١٢) .

ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »(١٣) .

من صفات الرسول ..

قال الحسن بن على — رضى الله عنهما : سألت خالى هند بن أبى هالة التميمى وكان وصافا ، عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانا اشتهى أن يصف لى منها شيئا اتعلق به ، فقال فى حديث طويل ، جاء فيه :

« كان صلى الله عليه وسلم فخما مفخما ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، يبدأ من لقيه بالسلام ، ويتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول فيه ولا تقصير ، ليس بالجافى ولا بالمهين ، يعظم النعمة وان دقت . وكان اذا أوى الى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء ، جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ، ثم جزء نفسه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ، فلا يدخر عنهم شيئا ، فكان من سيرته فى جزء الامة ايثار أهل الفضل على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم فيما يصلحهم ويلائمهم ، ويخبرهم بالذى ينبغى لهم ، ويقول :

ليبلغ الشاهد الغائب ، وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغها اياى ، فانه من بلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة ..

وكان صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم ، فيكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ..

يتفقد اصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه .. لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس ، خيارهم وافضلهم عنده أعمهم نصيحة ، واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة ..

من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء .

مجلسه مجلس حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الاصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم ، ولا تنثنى فلتاته ، متعادلين متواصين فيه بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذوى الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قد ترك نفسه من ثلاث : المراء والاكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم احدا ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه .. ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته ، حتى ان كان اصحابه يستجلبونهم ، ويقول : اذا رايتم طالب الحاجة فأرشدوه .. وجمع له الحذر فى اربع ، اخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح ينتهى عنه ، واجتهاد الرأى فيما اصلح امته ، والقيام لهم بما جمع لهم الدنيا والآخرة(١٤) .

اسباب انتشار دعوة محمد

بهذا السمو فى مبادىء الرسالة العظمى ، وهذا التجرد لمصلحة الانسانية فى اهداف صاحب الذكرى ، انتشرت بسرعة دعوة الاسلام ، وعم خيرها ، وارتفعت راياتها بصورة لا يعرف لها مثيل .

وفى غزوة القادسية ، بعث قائد المسلمين سعد ، رسولا الى رستم ، ربعى بن عامر ، وقال هذا لرستم فى شرح أهداف الرسالة : ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد ، الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام .

وحينما سأل رستم المغيرة بن شعبة عما جاء بهم ، قال له ، انا لا نطلب الدنيا ، وانما همنا طلب الآخرة ، وقد بعث الله الينا رسولا ، بدين هو دين الحق ، لا يرغب عنه احد الا ذل ، ولا يعتصم به الا عز ، أما عموده الذى لا يصلح شىء الا به ، فشهادة أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ، واخراج العباد من عبادة بعضهم الى عبادة الله ، والناس بنو آدم ، فهم اخوة لأب وأم(١٥) .

قبس من نور المصطفى

روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تحاسدوا

ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم اخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه(١٦) .

وخطط صاحب الرسالة العظمى لشمول المنافع ، وذيوع الخيرات والاكثار من المبرات ، وقال صلى الله عليه وسلم : « السخى قريب من الله، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، ولجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل »(١٧) .

وعن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال : بينما نحن فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم ، اذ جاء رجل على راحلة له ، قال فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) . قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل(١٨) .

وعن أبى امامة — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن آدم انك أن تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى(١٩) .

وعن أنس بن مالك — رضى الله عنه — ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى الله المشاءون بالنميمة ، الملتمسون العثرات ، المفرقون بين الاخوان(٢٠) .

الشخصية الاسلامية ..

واذا كان صاحب الذكرى فى رسالته صلى الله عليه وسلم عمد الى هذا السمو الانسانى الرفيع حتى يوحد الصفوف على الخير ، ويؤلف القلوب ، ويكبح النفوس الجامحة ، فانه حافظ على الشخصية الاسلامية ، وحرص على أن لا يذوب المسلمون فى غيرهم ، وجعل شعاره ، الاهتمام بشئون المسلمين ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، واعتبر المسلمين أمة واحدة ، يتناصرون ويتعاونون على ما فيه خيرهم وخير الانسانية جمعاء ، ويقاومون الظلم والعدوان ، مهما كان مصدره ، لأن هدف رسالة صاحب الذكرى أن ترتفع راية العدالة ، وأن يأخذ كل ذى حق حقه ، مهما كانت عقيدته ومذهبه ، « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى »(٢١) .

وفى السنة كثير من الاحاديث ترمى الى الاحتفاظ بالقومية (الشخصية) وعدم فناء الامة فى غيرها ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (خالفوا سنة المجوس) . ومثل النهى عن التشبه بغير المسلمين ، الى آخر ما يحفظ للأمة كيانها ولا يذيبها فى غيرها(٢٢) .

موقفه من غير المسلمين

كان موقف صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم من غير المسلمين

الذين يعاهدون المسلمين ، الوفاء بعهودهم والحرص على مشاعرهم وعدم ايذائهم ، وشرع من الاحكام فى حسن معاشرتهم ما شرح له صدورهم ، وأباح البر بهم والاقساط اليهم ، ومصاهرتهم والتزوج بهم ، وأكل ذبائحهم وطعامهم ، وجعل للزوجة غير المسلمة من الحقوق مثل ما للزوجة المسلمة ، وأباح للمسلم أن يضيفهم ويذهب الى ضيافتهم ، ويتبادل معهم التهـــادى والتصافح ، « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن »(٢٣) .

وفى ظل هذه الاحكام السمحة والعدالة والمســاواة ، عاش غير المسلمين مع المسلمين فى بلاد الاسلام ، طوال السنين ، لا يشكون ضيما ولا يبخسون حقا ، وفى كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة ، شرط عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم ، من العرب ولا من العجم ، ولا يدلوهم على عورات المسلمين ..

وجعل لهم ايما شيخ ضعف عن العمل أو اصابته آفة من الآفات او كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله .. الخ .

ولما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن سيرتهم فيهم صاروا اشداء على أعداء المسلمين ، وعونا للمسلمين على أعدائهم ، فبعث أهل كل مدينة ، ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتحسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وعما يريدون أن يصنعوا ، فأتى أهل كل مدينة يخبرون المسلمين بأن الروم قد جمعوا لهم جمعا لم ير مثله ..

ولما تتالت الاخبار على ابىعبيدة بذلك كتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى تصـــالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية والخراج ، وكتب اليهم أن يقولوا لهم : انما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنـــا ما جمع لنا من الجموع ، وانكم قد شرطتم علينـــا أن نمنعكم ، وانا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتب بيننا وبينــكم ، ان نصرنا الله عليهم . فقالوا ردكم الله علينـــا ، ونصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شيء بقى لنا حتى لا يدعوا لنا شيئا .

وكان أن غلب الروم ونصر الله المسلمين وكتب أبو عبيدة الى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ بما افاء الله على المسلمين ، وما أعطى أهل الذمة من الصلح ، فكتب اليه عمر كتابا جاء فيه ، ومنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها ، ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم* ولا يمنع الاسلام اية دولة اسلامية من أن تتبادل مع دولة غير اسلامية علاقات تجارية وسياسية وسفراء لنظر المصالح ، ومعاهدات لضمان حقوق الافراد فى كل من الدولتين واجراء العدل بينهم(٢٤) .

كلمة الختـــام ..

مع ان دعوة صاحب الذكرى صلى الله عليه وســـلم بقيت فى أوج سموها ، وذروة انسانيتها ، الا أنها تضمنت ضرورة الحفاظ على مقومات الأمة الاسلامية وكيانها ، ودفع العدوان مهما كان مصدره ، ولزوم تكاتف المسلمين وتعاونهم لدرء الخطر ، عما يصيب أى فريق أو جماعة منهم ، أو أى جزء من أراضيهم ومقدساتهم .

فازاء الخطر المتلاحق على ديار الاسلام من كل صوب ، وخصوصا فى الديار المقدسة والمسجد الاقصى المبارك ، يفرض على المسلمين فرضا لا مناص منه ، أن تجند قواهم وتكتل جهودهم وترصد أموالهم وتعبأ كل طاقاتهم ، فى معركة مصيرية ، لحفظ بيضة الاسلام ، واعادة الديار والمقدسات الى أربابها ، حتى يمكن أن يرضى صاحب الذكرى ، ولعلها مناسبة سعيدة أن يتذكر المسلمون ما عليهم من أعباء يجب المبادرة لتحملها ، حتى ترد الكرامة ، ويصان السلام فى هذا العالم ، والحذر ، الحذر من أى تخاذل أو تهاون قد يقضى على البقية الباقية ، ويعرض الأمة الاسلامية لشر مستطير ، قد يهز كيانها ويزلزل عقيدتها وأصولها ، وعندئذ لا ينفع أى احتفاء ولا يجدى أى تظاهر فى مولد الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) رسالة التوحيد ، الاسلام شريعة الله الخالدة .
(٢) آية ١٠٧ من سورة الانبياء .
(٣) آية ٢٨ من سورة سبأ .
(٤) آيات ٤٥ — ٤٧ من سورة الاحزاب .
(٥) آية ١٢٤ من سورة الانعام .
(٦) رواه أبو داود .
(٧) رواه البخارى ومسلم .
(٨) رواه الطبرانى .
(٩) مستدرك الحاكم .
(١٠) البخارى .
(١١) رواه أحمد بن عدى فى الكامل .
(١٢) آية ٤ من سورة القلم .
(١٣) رواه البخارى فى الادب .
(١٤) الطبرانى فى الكبير ومجمع الزوائد .
(١٥) البداية والنهاية لابن كثير ، والاسلام شريعة الله الخالدة .
(١٦) أخرجه مسلم .
(١٧) رواه الترمذى .
(١٨) اخرجه مسلم وأبو داود .
(١٩) رواه الترمذى .
(٢٠) رواه أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد .
(٢١) آية ٣ من سورة المائدة .
(٢٢) الدعوة الاسلامية .
(٢٣) آية ٤٦ من سورة العنكبوت .
(*) ان وقوع بعض هذه الحوادث بعد وفاة الرسول الاعظم لا يمنع من ذكرها فى سيرته ، لأن الخلفاء وقادة المسلمين انما كانوا يتصرفون بهدى الرسول وعلى سنته .
(٢٤) الدعوة الاسلامية .



وقف الاستاذ الكبير ابـو الحسن الندوى وقفة تأمل عند غـار حراء ، بمكة المكرمة ، وتحدث الـى نفسه بهذه الكلمات المضيئة :

كانت الحياة كلها اقفالا معقدة ، وابوابا مقفلة كان العقل مقفلا أعيا فتحه الحكماء والفلاسفة كان الضمير مقفلا أعيا فتحه الوعاظ والمرشدين ، كانت القلوب مقفلة أعيا فتحهـا الحوادث والايام كانت المواهب مقفلة اعيا فتحها التعليم والتربية والمجتمع والبيئة ، كانت المدرسة مقفلة أعيا فتحها العلماء والمعلمين ، كـانت المحكمة مقفلة أعيا فتحها المتظلمين والمتحاكمين ، كانت الأسرة مقفلـة أعيا فتحها المصلحين والمفكرين ، كان قصر الامارة مقفلا أعيا فتحه الشعب المظلوم والفلاح المجهود والعامـل المنهوك ، وكانت كنوز الاغنياء والامراء مقفلة اعيا فتحها جوع الفقراء وعرى النساء وعويل الرضعاء ، لقد حاول المصلحون الكبار والمتشرعون العظام فتح قفل من هـذه الاقفال ففشلـوا واخفقوا ، فان القفل لا يفتح بغيـر مفتاحه ، وقد ضيعوا المفتاح مـن قرون كثيرة ، وجربوا مفاتيح مـن صناعتهم ومعادنهم فاذا هى لا توافق الاقفال ، واذا هى لا تغنى عنهـم

شيئا ، وحاول بعضهم كسر هذه الاقفال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم .

ففى هذا المكان المتواضع المنقطع عن العالم المتمدن على جبل ليس بمخصب ولا بشامخ تم ما لم يتم فى عواصم العالم الكبيرة ومدارسه الفخمة ومكتباته الضخمة ، هنا من الله على العالم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفى رسالته عاد هذا المفتاح المفقود الى الانسانية ذلك المفتاح هو (الايمان بالله والرسول واليوم الآخر) ففتح به هذه الاقفال المعقدة قفلا قفلا ، وفتح به هذه الابواب المقفلة بابا بابا ، وضع هذا المفتاح النبوى على العقل الملتوى فتفتح ونشط واستطاع أن ينتفع بآيات الله فى الآفاق والانفس ويتوصل مع العالم الى فاطره ومن الكثرة الى الوحدة ، ويعرف شناعة الشرك والوثنية والخرافات والاوهام .

وكان قبل ذلك محاميا مأجورا يدافع عن كل قضية حقا وباطلا . وضع هذا المفتاح على الضمير الانسانى النائم فانتبه،وعلى الشعور الميت فانتعش وعاش ، وتحولت النفس الامارة بالسوء مطمئنة لا تسيغ الباطل ولا تتحمل الاثم حتى يعترف الجانى أمام الرسول بجريمته ويلح على العقاب الأليم الشديد ، وترجع المرأة المذنبة الى البادية حيث لا رقابة عليها ثم تحضر المدينة وتعرض نفسها للعقوبة التى هى أشد من القتل ، ويحمل الجندى الفقير تاج كسرى ويخفيه فى لباسه ليستر صلاحه وامانته عن أعين الناس ويدفعه الى الامير لانه مال الله الذى لا تجوز الخيانة فيه .

كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزدجر ولا ترق ولا تلين فأصبحت خاشعة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع بالآيات وترق للمظلوم وتحنو على الضعيف .

وضع هذا المفتاح على القوى المخنوقة والمواهب الضائعة فاشتعلت كاللهيب وتدفقت كالسيل ، واتجهت الاتجاه الصحيح فكان راعى الابل راعى الامم ، وخليفة يحكم العالم ، وأصبح فارس قبيلة وبلد قاهر الدول وفاتح الشعوب العريقة فى القوة والمجد وضع المفتاح على المدرسة المقفلة وقد هجرها المعلمون وزهد فيها المتعلمون وسقطت قيمة العلم فذكر من شرف العلم وفضل العالم والمتعلم والمربى والمعلم وقرن الدين بالعلم حتى كانت له دولة وأصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت المسلمين مدرسة ، وأصبح كل مسلم متعلما لنفسه معلما لغيره ، ووجد أكبر دافع الى طلب العلم وهو الدين . وضعه على المحكمة المقفلة فأصبح كل عالم قاضيا عادلا ، وكل حاكم مسلم حكما مقسطا ، وأصبح المسلمون قوامين لله شهداء بالقسط ووجد الايمان بالله وبيوم الدين فكثر العدل وقل الجدل وفقدت شهادة الزور والحكم بالجور .

وضعه على الأسرة المقفلة وقد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده والاخ وأخوته والرجل وزوجته وتعدى من الاسرة الى المجتمع فظهر بين السيد وخادمه والرئيس والمرؤوس والكبير والصغير ، كل يريد أن يأخذ ما له ولا يدفع ما عليه وأصبحوا مطففين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، فغرس فى الأسرة الايمان وحذرها من عقاب الله وقرأ عليها قول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به

والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ، وقسم المسؤولية على الاسرة والمجتمع كله فقال (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وهكذا أوجد أسرة عادلة متحابة مستقيمة ومجتمعا عادلا ، واوجد فى أعضائه شعورا عميقا بالامانة وخوفا شديدا من الآخرة حتى تورع الامراء وولاة الامور وتقشفوا واصبح سيد القوم خادمهم ووالى الامة كولى اليتيم : فزهدهم فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة وأضاف الاموال لله وقرأ عليهم « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

وحذرهم من اكتناز وادخار الاموال وعدم الانفاق فى سبيل الله فقرأ عليهم (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله الخائف من عقاب الله الخاشع الامين المؤثر للآخرة على الدنيا المستهين بالمادة المتغلب عليها بايمانه وقوته الروحية يؤمن بان الدنيا خلقت له وانه خلق للآخرة فاذا كان هذا الفرد تاجرا فهو التاجر الصدوق الامين ، واذا كان فقيرا فهو الرجل الشريف الكادح ، واذا كان عاملا فهو العامل المجتهد الناصح ، واذا كان غنيا فهو الغنى السخى المواسى ، واذا كان قاضيا فهو القاضى العادل الفهم ، واذا كان واليا فهو الوالى المخلص الامين ، واذا كان سيدا رئيسا فهو الرئيس المتواضع الرحيم ، واذا كان خادما او اجيرا فهو الرجل القوى الأمين ، واذا كان امينا للاموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الاسلامى وتأسست الحكومة الاسلامية ولم يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال الا صورة مكبرة لاخلاق الافراد ونفسيتهم فكان المجتمع صالحا امينا مؤثرا للآخرة على الدنيا . متغلبا على المادة غير محكوم لها انتقل اليه صدق التاجر وأمانته وتعفف الفقير وكدحه واجتهاد العامل ونصحه وسخاوة الغنى ومواساته وعدل القاضى وحكمته واخلاص الوالى وأمانته وتواضع الرئيس ورحمته وقوة الخادم وحراسة المخازن ، وكانت هذه الحكومة حكومة راشدة . مؤثرة للمبادىء على المنافع والهداية على الجباية وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ هذه الحكومة وجدت حياة عامة كلها ايمان وعمل صالح وصدق واخلاص وجد واجتهاد وعدل فى الاخذ والعطاء وانصاف النفس مع الغير .

وقد ذهلت فى حديثى لنفسى وتمثلت الى الجماعات الاسلامية الاولى بجملها وتفاصيلها كأنى اشاهدها واتنفس فى جوها وانقطعت الصلة بينى وبين العالم المعاصر .

وحانت منى التفاته الى هذا العصر الذى نعيش فيه فقلت انى لارى أقفالا جديدة على أبواب الحياة الانسانية وقد قطعت الحياة مراحل طويلة ، وخطت خطوات واسعة ، وتعقدت الحياة والتوت ، وتطورت المسائل وتنوعت ، وتساءلت هل يمكن فتح هذه الاقفال الجديدة بذلك المفتاح الضيق ؟ وابيت أن أحكم بشىء هل أختبر هذه الاقفال وأضع عليها المفتاح ، ولمست هذه الاقفال بالبنان فاذا هى الاقفال القديمة بتلوين جديد واذا المشاكل نفس مشاكل العصر القديم ، واذا المشكلة الكبرى وأساس الازمة هو الفرد الذى لا يزال لبنة المجتمع واساس الحكومة ، ووجدت أن هذا الفرد قد أصبح لا يؤمن الا بالمادة

والقوة ولا يعنى الا بذاته وشهواته وانه يبالغ فى تقدير هذه الحياة ويسرف فى عبادة الذات وأرضاء الشهوات وقد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الانبياء وعقيدة الآخرة فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء هذه المدنية فاذا كان تاجرا فهو التاجر المحتكر النهم الذى يحجب السلع أيام رخصها ويبرزها عند غلائها ويسبب المجاعات والازمات واذا كان فقيرا فهو الفقير الثائر الذى يريد أن يتغلب على جهود الآخرين بغير تعب ، واذا كان عاملا فهو العامل المطفف الذى يريد أن يأخذ ماله ولا يدفع ما عليه ، واذا كان غنيا فهو الغنى الشحيح القاسى الذى لا رحمة فيه ولا عطف ، واذا كان واليا فهو الوالى الغاش الناهب للاموال واذا كان سيدا فهو الرجل المستبد المستأثر الذى لا ينظر الا الى فائدته وراحته . واذا كان خادما فهو الضعيف الخائن واذا كان خازنا فهو السارق المختلس للاموال، واذا كان أكبر من ذلك فهو المادى المستأثر الذى لا يخدم الا نفسه وحزبه ، ولا يعرف غيره واذا كان زعيما أو قائدا فهو الوطنى أو الجندى الذى يقدس وطنه ويعبد عنصره ويدوس كرامة البلاد الاخرى والشعوب الاخرى واذا كان مشرعا فهو الذى يسن القوانين الجائرة والضرائب الفادحة واذا كان مخترعا اخترع المدمرات والناسفات واذا كان مكتشفا اكتشف الغازات المبيدة للشعوب والمخربة للبلاد والقنبلة الذرية التى تهلك الحرث والنسل واذا كان فيه قوة التطبيق والتنفيذ لم ير بأسا بالقاء هذه القنابل على الامم والبلاد .

وبهؤلاء الافراد تكون المجتمع وتأسست الحكومة فكان مجتمعا ماديا اجتمع فيه احتكار التاجر وثورة الفقير وتطفيف العامل وشح الغنى وغش الوالى واستبداد السيد وخيانة الخادم وسرقة الخازن ونفعية الوزراء ووطنية الزعماء واجحاف المشرع وأسراف المخترع وقسوة المنفذ ، وبهذه النفسيات المادية تولدت أزمات طريفة ومشاكل معقدة تشكو منها الانسانية بثها وحزنها كالسوق السوداء وفشو الرشوة والغلاء الفاحش واختفاء الاشياء والتضخم النقدى وأصبح المفكرون والمشرعون لا يجدون حلا لهذه المشاكل وأصبحوا اذا خرجوا من ازمة وأجهوا أزمة أخرى بل أن حلولهم القاصرة ومعالجتهم المؤقتة هى التى تسبب أزمات جديدة وتنقلوا من حكومة شخصية الى ديمقراطية الى دكتاتورية ثم الى ديمقراطية ومن نظام رأسمالى الى نظام اشتراكى الى شيوعى واذا الوضع لا يتغير لان الفرد الذى هو الاساس لا يتغير ، ويجهلون أو يتجاهلون فى كل ذلك أن الفرد هو الفاسد المعوج ولو عرفوا أن الفرد هو الاساس وأنه فاسد معوج لما استطاعوا اصلاحه وتقويمه لانهم على كثرة مؤسساتهم العلمية ودور التعليم والتربية والنشر لا يملكون ما يصلحون به الفرد ويقومون اعوجاجه ويحولون اتجاهه من الشر الى الخير ومن الهدم الى البناء لانهم أفلسوا فى الروح وتخلوا عن الايمان وفقدوا كل ما يغذى القلب ويغرس الايمان ويعيد الصلة بين العبد وربه وبين هذه الحياة والحياة الاخرى وبين المادة والروح وبين العلم والاخلاق وفى الاخير أدى بهم أفلاسهم الروحى وماديتهم العمياء واستكبارهم الى استعمال آخر ما عندهم من آلات التدمير التى تبيد شعبا بأسره وتخرب قطرا بطوله حتى استهدفت الحضارة والحياة البشرية اذا تبادلت الدول المتحاربة استعمال هذه الآلات للنهاية الأليمة .



ميراث ووصية واجبة

قرأت فى آخر العدد الخاص من الوعى الاسلامى ذى الرقم (٨٥) المؤرخ فى غرة المحرم لعام ١٣٩٢ هـ فى الصفحة (١٢١) منه فى حقل الفتاوى ، فتوى تقدم بها السيد وهبه على من القاهرة يسأل فيها عن رجل توفى عن زوجته ، وأربعة أبناء ، وثلاث بنات ، وعن ولدى بنت توفيت فى حياته ، فما نصيب كل من هؤلاء فى التركة ؟

حيث كان الجواب هو تقسيم التركة الى خمسة وتسعين سهما ، منها سبعة أسهم لولدى البنت المتوفاة وصية واجبة بالسوية بينهما ..

وأنا قبل أن أعطى رأيى فى الجواب هذا أريد أن أوضح أن هذا الحكم (وهو استحقاق أبناء البنات حصة فى تركة جدهم مع وجود أخوالهم بطريق الوصية الواجبة) خاص بقانون الوصية المصرى دون غيره من قوانين وتشريعات الدول العربية والاسلامية الاخرى ، ذلك أن قانون الاحوال الشخصية السورى النافذ فى سورية يقضى بحرمان ولدى البنت هذين من التركة ، فلا يستحقان شيئا فيها ، لا عن طريق الارث ، ولا عن طريق الوصية الواجبة ، لانهما من ذوى الارحام ، وذوو الارحام مؤخرون عن أصحاب الفروض والعصبات فى الارث ، وما دام هنالك أبناء وبنات وهم من العصبات فلا يستحق أبناء البنت شيئا معهم ، وكذلك الوصية الواجبة فانه لا حصة لهم فيها لأنها فى القانون السورى المشار اليه خاصة بأولاد الابن دون أولاد البنت ، وفقا للمادة / ٢٥٧ / منه ..

وكذلك الحال فى جميع البلدان الاسلامية التى تسير فى نظام المواريث على وفق المذاهب الفقهية المعتمدة من غير أن تصدر تشريعات خاصة له ، فانها لا تعطى ابنى البنت هذين من التركة شيئا لا ارثا لأنهما من ذوى الارحام كما تقدم ، ولا وصية واجبة لأن الفقه الاسلامى فى مذاهبه المشهورة المعتمدة — وفيها المذاهب الاربعة — لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى جاء به القانون المصرى ..

وأغلب الظن أن السائل انما يطلب اجابته وفقا للفقه الاسلامى .

لا وفقا للقانون المصرى فان ذلك هو المتبادر للذهن عند الاطلاق ، ولولاه لطلب السائل اجابته وفقا للقانون المصرى دون غيره ..

وعليه فان التركة هذه تقسم فقها الى ثمان وثمانين سهما تعطى الزوجة منها أحــد عشر سهما ، وهو ثمن التركة فرضا ، ويعطى كل من الذكر من الاولاد اربعة عشر سهما ، والانثى منهم سبعة أسهم تعصيبا ، ولا شيء لولدى البنت ، لانهما من ذوى الارحام ..

هذا الى جانب أننا اذا رجعنا الى قانون الوصية المصرى الذى اعتمده الاستاذ المفتى فى فتــواه هذه ، وطبقناه على هذه المسألة لوجدناها غير منطبقة عليه ، ولا أعلم كيف قســمت التركة الى خمسة وتسعين ســهما ..

والحل الصحيح لهذه المسألة وفقــا لــما جــاء فى قانون الوصية المصرى هو أن تقســم المسألة الى ــ ٨٤٤٨ ــ سهما يكون للزوجة منها ــ ٩٧٩ ــ سهما فرضا ، ولكل واحــد من الابناء الذكور ــ ١٢٤٦ ــ سهما ، ولكل واحد من البنات ــ ٦٢٣ ــ سهما تعصــيبا ، ويعطى ولدى البنت ــ ٦١٦ ــ سهما مناصفة بينهما ، لكل منهما ــ ٣٠٨ ــ وصية واجبة ولا تصح على خــلاف ذلك ..

د : أحمد الحجى الكردى
جامعــة دمشق

◆ ◆ ◆

ان ما ذكره المعقب صحيح بجميع تفصيلاته ونحن معــه فى أن الفقــه الاســلامى فى مذاهبه المشهورة المعتمدة لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى اعتمده القانون ..

وان الذى أصدر الفتوى المذكورة اعتمد فى اخراج مقدار الوصية الواجبة على رأى بعض العلماء المحدثين فى أن طريقة تطبيق قانون الوصية الواجبة فى مثل الحالة المسؤول عنها تكون باعطاء فرع الولد الذى مات فى حياة والده من تركة الجد مثل نصيب واحد من الاحياء من الورثة ممن يماثلون الولد الميت فى الذكورة أو الانوثة . وعلى هذا استخرج نصيب بنتى البنت فقسم المسألة ٨٨ سهما ، ولما كان نصيب كل من البنتين الوارثتين ٧ أسهم ، رأى اعطاء بنتى البنت المتوفاة ٧ أسهم كذلك وصية واجبة ، ثم أضاف أسهم الوصية الواجبة هذه الى أصل المسألة فكانت (٩٥) الا أن هذه الطريقة لا تنطبق على نص القانون الذى يصرح بأنه (يجب لفرع ولد الموروث وصية بمثل ما كان يستحقهأبوهم لو كان حيــا) ..

فلو كانت أم هاتين البنتين حية لما كان نصيبها ٧ / ٩٥ وانما يكون نصيبها ٧ / ٩٦ وقد بين العلماء ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه (أحكام التركات) ص ٢٩٢ وما بعدها وجــه الخطا فى الطريقة السابقة ، وان وجه الصواب فى القسمة أن يفرض الابن او البنت الذى مات أولا حيا ، ويعرف نصــيبه وهو فى مسالتنا هذه ٧ من ٩٦ فيكون هو الوصــية الواجبة وما بقى بعد ذلك وهو (٨٩) سهما يعمل له مسالة جديدة هى هنا (٨٨) سهما ، فيقسم على الورثــة بموجبهــــا ..

محمد سليمان الاشقر

بريد الوعي الإسلامي

مخيمات اسلامية

ورد فى مجلة الوعى الاسلامى التى تصدر عن وزارتكم الموقـــرة فى عددها رقم ٨٤ الصادر فى غرة ذى الحجة سنة ١٣٩١ الموافق ١٧ ينـــاير سنة ١٩٧٢ فى الصفحة رقم ١٠٨ فى باب « قالت صحف العالم » تحت عنوان « **مؤتمر المسلمين** » حديث عن مؤتمر اتحـــــاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا ، جـــاء فيه « ان شباب المسلمين فى جمهورية مصر العـــربية وغيرها من الدول الاسلامية لفى حاجة ماسة الى مثل هذه المؤتمرات الجامعة وخاصة فى فصل الصيف .. ويا حبذا لو اقيمت الى جانب هـــــذه المؤتمرات الدراسية مخيمات صيفية اسلامية يمارس فيها الشباب الحيـــــاة الاسلامية ويصقلون فيها عقولهم وأرواحهم واجسادهم .

وأود أن أحيطكم علما أن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بجمهورية مصر العربية ، يقيم منذ نشأته فى عام ١٩٦٠ معسكرا صيفيا بمدينة أبى بكر الصديق لأبناء العالم الاسلامى (بالاسكندرية) على هيئة مؤتمر لشباب وشابات العالم الاسلامى الذين يتلقون العلم فى مصر يستمر طوال شهرى يوليو واغسطس من كل عـــام يلتقى فيه أكثر من ألفى طالب وطالبة من جميع الجنسيات ضيوفا على المجلس ويشمل البرنامج اليومى لهذا المعسكر ، الى جانب أداء فـــــرائض الصلاة بجامع المدينة وممارسة أنواع الرياضة المختلفة وزيارة معـــــالم الاسكندرية والاســـتمتاع بصـــيفها ، ندوات ومحاضرات يحضرها أســـاتذة متخصصون من الجامعات وعلماء الازهر ورجال الفـــكر والادب وزعمـــاء وسفراء الدول الاسلامية ، هذا بالاضافة الى اجتماع الطلاب والطالبات فى حلقات للمناقشة بنادى المدينة لدراسة شئون دينهم وكل ما يهم العــــــالم الاســـــلامى .

مـــــدير
ادارة الابحـــاث
محمد جمال الدين خليل

اتقــوا الله

لاحظت وجود مصاحف ، يوجــد التحريف على غلافها الخلفى ، حيث كتب المحرفون المتاجرون الآية الكريمة (**لا يمسه الا المتطهرون**) ـــ خطـــأ . .
والصواب (**لا يمسه الا المطهرون**) .

وذلك بزيادة تــاء ، حارب الله تعالى أمثال هؤلاء الذين اتخذوا آيات الله هزوا ، وغرتهم الحياة الدنيا ، ولم يتورعوا عن تحريف آيات الله الكريمات حتى على غلاف المصاحف .

ورغم أننى لم أتمكن بعد من مراجعة المصحف كله للتأكد من عدم التحريف الا أننى أناشدكم التدخل لصيانة كتاب الله من التحريف واقترح :

١ ـــ سحب المصاحف المحرفة من السوق .
٢ ـــ عدم السماح ببيع المصحف الشريف الا فى أماكن شريفـــة وتحت اشراف الدولة .
٣ ـــ مراجعة المصحف ، ومراجعة غلافه . .
٤ ـــ العقاب الرادع والحاسم والفاصل لكل من حرف ، ويحرف القرآن الكريم على عيون الأشهاد ليكون ذلك رادعا لهم وعبرة لغيرهم .
٥ ـــ ارسال هذا الخطاب لأعلى سلطة اسلامية بالأزهر الشريف ومجمع البحوث الاسلامية ، وكافة الهيئات الدينية فى مصر والبـــلاد الاسلامية لاتخاذ اللازم .

أنــور محمود وصفى عبد الوهاب
كلية الهندسة / جامعة عين شمس

الوعى الاسلامى

يسعدنى أن أنوه بالجهود المضاعفة التى تبذلونهـــا للنهوض بمجلتكم الاسلامية الراقية (**الوعى الاسلامى**) التى تصدرها وزارة الاوقاف والشـــئون الاسلامية فحفظكم الله ورعاكم ، وزاد فى معناكم ، وآجاركم علىّ ما تبذلونه من حب صادق وتضحية وايثار فى سبيل نشر كلمة الله ، والدفاع عن عقيدته الطاهرة ومبدأه الصالح .

محمد بنعبد الله
رئيس تحرير دعوة الحق ـــ الرباط

التراث المفقود والموجود

جـــاء فى المقال المنشور فى العدد (٨٣) تحت هذا العنوان : أن تاريخ الاسلام الذهبى يقع فى خمسين مجلدا لم يطبع منه الا خمسة فقط ، مع أن المطبوع منه ستة أجزاء لا خمسة ، ويحتوى الجزء السادس على تاريخ عشرين سنة من ١٤١ ـــ ١٦٠ وهو فى ٣٤٤ صفحة ، وهو مذكور فى قوائم المكتبات منـــذ بضـــع ســـنين .

محمد زاهر أبو اليمن



نصـــيحة ..

تحت هذا العنوان يقول : الاستاذ / عبد الرحمن احمد شادى :

تحاول الدول النامية المسكينة أن تعيش فى العصر الحديث فتستــورد الأدوات ، والآلات اللازمة لها ، من الدول الغنيـــة المتقدمة .. لأنها لا تملك المصانع التى تزودها بما تحتاجه من هذه الأدوات ، والآلات ، والســـلع ، وتضطر **(والمضطر يركب الصعب)** أن تدفع ثمنا باهظا ، وتنزف دماءها لـكى تشترى هذه الآلات .. وعلى سبيل المثال فالطائرة الالمانية (البوينج ٧٤٧) التى خطفها الفدائيون ، كما ورد فى صحف ١٩٧٢/٢/٢٧ ، تســاوى ثمانية ملايين جنيه تقريبا ، وقد الحت على فكرة عقد مقارنة بين ثمن طائرة من هذا الطراز وبين انتــاج الأفدنة الزراعية ، وفرض الســؤال التالى نفسه .. كم عدد الأفدنة التى تنتج محصولات يشتريها ثمن طائرة واحدة ، ومتوسط انتاج الفدان الواحد يقدر بمائة جنيه فى العام : ٨٠٠٠ر٠٠٠÷١٠٠=٨٠٠٠٠ فدان .

فثمن طائرة واحدة يشترى انتاج ثمانين الف فدان من المحصـــولات الزراعية ، فمن المغبون فى هذه الصفقة ، ومن الخاسر فى هذه البيعة ؟ الدول النامية التى اشترت أو الدول الغنية التى باعت .. ؟

واذا افترضنا ان المصنع ينتج طائرة واحدة فى الاسبوع ، وخمسين طائرة فى العام ، فماذا يشترى انتاج مصنع واحد : ٨٠ر٠٠٠×٥٠=٤٠٠٠ر٠٠٠ ، انتهت المسألة الحسابية البسيطة الى أن انتاج المصنع الواحد فى العام يشترى محصولات أربعة ملايين فدان .

والمصانع هناك بالمئات لعشرات ومئات وآلاف الســـلع ، والأدوات ، والآلات ، والأجهزة التى تستوردها الدول النامية المســـكينة التى تظن أنها باستعمالها لهذه الآلات قد عاشت فى العصر الحديث ، وبدلت ظهر الناقة بجوف الطائرة ، اذا ارادوا أن يتحضروا فلا بد أن يضعوا هذه الآلات بدلا من الاكتفاء باستعمالها فقط ، وأن يكونوا كما قال الزهاوى :

طاروا بأجنحة الصناعة فامتطوا ظهر الرياح مكان ظهـــر النوق

وهم فى معظم الأحوال لا يملكون الا المحصولات الزراعية ، والمواد الخام ، التى تقدم لهذه الدول الغنية بثمن بخس بدلا لهذه الآلات المستوردة .

ان هذه الدول تنزف دماءها ، وستظل كذلك الى ان يغنيها الاســـتقلال الاقتصادى بالمصانع الكثيرة عن أن تنزف دماءها ، وينقل هذا الدم المنزوف الى الدول الغنية .. هل تستطيع الدول النامية أن تحارب الفقر وهى تعصر عصرا ،

نعيم الدول الغنية فى بؤس الدول الفقيرة ، ومصائب قوم عند قوم فوائد .
جربت هذه الدول انشاء القليل من المصانع فحمدت التجربة ، وأدت كثيرا من الغايات الاجتماعية والاقتصادية بوجود هذه المصانع ، وأهمها أن تحفظ ثروتها لأهلها ، وأن لا تنزف دماءها .

قد يقول قائل : وأين الاموال التى تكفى لانشاء الصناعات الهامة التى يكلفنا استيرادها ثمنا غاليا ؟ والجواب هو توجيه النظر الى الأموال التى تنفق على الزينة ، والزخرف ، والنعيم ، والمظاهر ، والترف ، والاسراف ، الا تستطيع هذه الاموال أن تقيم المصانع المطلوبة .. !

قد يقول قائل آخر : وأين الخبرة والعلم ؟ والجواب أن بعض الدول الفتية التى لا تجاوز عمر الطفولة فى الحضارة والنهضة قد بدأت حياتها وحضارتها من نقطة الصفر ، ومع هذا فقد سبقت الدول والأمم العريقة فى الحضارة .

ولكن الدول النامية المسكينة مصابة فى همم أهلها ، وعزائم بنيها ، فهم يريدون أن يتحضروا بهمم وأموال وعقول وأيدى غيرهم ، فهل يتسق هذا المنطق أم لا بد أن ننهض ونتحضر ونفعل ما يفعله غيرنا بهممنـــا وأموالنا وعقولنا وأيدينا .. !!

المادية الملحدة ..

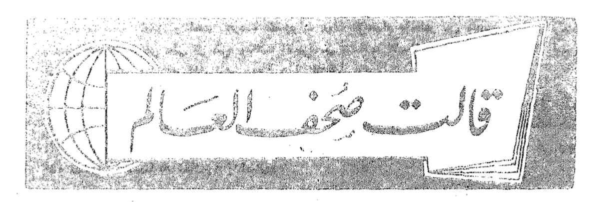
تحت هذا العنوان يقول الأخ تاج السر محمد حمزة من السودان :

بين المادية والدين عداوة وحرب لا هوادة فيها ، ولا مهادنة ، فالمـــادية نظام مادى يستمد فكرته من نظرية فلســـفية ملحدة ، تزعم أن كل ما يقع فى التاريخ من حركات فان مرجعه الى الاسباب الاقتصادية ، وما دامت الاسباب الاقتصادية هى التى تملى على التاريخ حركته ، فلا مجال للاعتراف باله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر الى مصائرهم بقوة وارادة .

وليس الدين عند الماديين الا تفسير خاطىء للظواهر الاجتماعية ، وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البالية فهو عندهم مظهر جهل ، ووسيلة استغلال ، ومن واجبهم أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده . فالمـــادى هو الذى ينبذ دينه ، ولا يكتفى بأن يتبرأ من الدين بقلبه بل يعمل ما وســـعه لرد المؤمنين بالله عن دينهم .

ويفيض الماديون فى تبرير انكارهم للدين ، ومحاربتهم له ، فيزعمون أن الدين خرافة ، وجهل ، ويعللون انتشار الاديان بالظروف المادية التى عاش فيها الانسان الاول ، ويقولون : ان الانسان الفطرى يقف عاجزا أمام ظواهر الطبيعة كالرعد والبرق مما جعله يردها الى ارادة عليا ، فسعى لكسب عطفها واصطناع الوان العبادات ، ومن ثم نشأ الايمان بالقوى غير المنظورة .

فالمادية الملحدة تعادى الاديان ، ومن ثم فهى مخالفة لمبادىء الاســـلام الاساسية ، واساس العقيدة الاسلامية شـــهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واعتبار القرآن وحى الله للنبى محمد ، والايمان بالحياة بعد الموت والجزاء ، والمثوبة ، والعقاب ، وهذه جميعا ينكرها الملحدون .



كتبت مجلة (المسلم) تحت هذا العنوان تقول :

يظهر أن صمت المسلمين على ما يحدث فى الفلبين قد شجع الآخرين فى مناطق اخرى ، فقد جاء من جنوب أفريقيا .. ان علماء المسلمين فى بورت اليزابيث بجنوب أفريقيا دعوا رئيس حكومة جنوب أفريقيا الى ضمان سلامة المساجد الاسلامية من الحريق وأعمال الفوضى ، وقد جاءت هذه الدعوة بعد أن تعرضت المساجد فى كل من (سيمولزتاون وكلير مونت وكيب تاون) وغيرها لحرائق وأعمال تحقير واهانة على يد عصابات مجهولة .. هذا الخبر وهو نتيجة طبيعية لموقف المسلمين ازاء مشاكلهم ولا أظن أن كثيرا من مؤسساتنا الاسلامية فى العالم لديها علم به ولا أظن أنها ستتحرك بالصورة المطلوبة التى توقف هذه التصرفات وتمنعها من الظهور مرة أخرى و .. يا مسلمو العالم .. ان اليهود فى أى بلد اذا تعرضوا لعقوبات مشروعة وقانونية فالمؤسسات اليهودية فى العالم والافراد منهم يتحركون فما بالكم اذا تعرضوا لاى اهانة السنا خيرا منهم وأكثر عددا .. انى أرجو وأنا أنشر هذا الخبر ان يكون لنا موقف آخر مع فعله هذه الاحداث ومثيلها سواء فى الفلبين أو فى جنوب افريقيا أو ..

ونشرت مجلة (المجتمع) الكويتية تحت هذا العنوان :

ان عيوبا بدأت تزحف على أسرنا مع زحف الافكار والمذاهب المختلفة وان هذه العيوب اذا لم تعالج بالاسلام انتشرت واستتبت وأصبحت آفة من الآفات التى تهدم مجتمعنا وتقوض كيان أمتنا وأن مظاهر هذه العيوب بدأت تظهر واضحة فى أبنائنا وبناتنا المتسكعين هنا وهناك واللاهين فى هذا المكان أو ذاك ..

فى الشوارع حيث تطير بهم مراكبهم الامريكية الطائشة فيزعجون المارة ويثيرون أعصاب الناس ويودون بانفسهم الى الهلاك وفى الاسواق حيث يسيحون لاهثين بحثا عن لحم آدمى يرسلون اليه نظراتهم الجائعة وفى المنتزهات وعلى شواطىء البحار حيث لا يتركون أسرة تنعم بجمال الطبيعة فى هدوء واطمئنان .

هذه كلها ظواهر مرض عضال ينخر فى الاسرة كالسوس ولا نرى من هذا المرض باعيننا الا هذا الجيل الثائر المتمرد والرافض فى كل مكان، ان اسرنا وقد اعماها حب المظهر ، وفت فى عضدها طغيان المادة لم تعد تعبا بالرقابة على الابناء وحسن تربيتهم وتوجيههم بل ان الزوجين فى الاسرة فقدا الرابطة الاصيلة التى تجمعهما على المودة والرحمة فانشغل الزوج بسهراته ورحلاته ولم تجد الزوجة فيه ما كانت تؤمله فلم تعد تبالى باحترامه أو تقديره أو حتى حفظه فى غيبته وتسربت الى الاسرة فى مجتمعنا مظاهر التفسخ الاخلاقى فكثرت السهرات والحفلات المختلطة وخفت الملابس

وقصرت وكشفت المفاتن وأتاحت الفرصة للشهوات وبدأ الاهتمام بالمظهر من ملبس ورياش وأثاث وقصور وحدائق يطغى على كل شيء وتفلتت الاسرة من عاداتها الاسلامية الاصيلة وتقاليدها الدينية العريقة وكان الاولاد نتاج هذا الجو وثمرة هذا التفكك .

صحيح أن الاسرة لا بد من بنائها بناء جديدا ليس أساسه استبداد الرجل وطغيانه وضياع حقوق المرأة واضطهادها وكبت الاولاد وقهرهم فلئن كانت هذه بعض ظواهر الاسرة فى عهود تخلت عن الاسلام فنحن لسنا ملزمين بها كأسس تقوم عليها أسرتنا الاسلامية الحديثة والتى تقف فى وجه هذه التيارات الحضارية المتلاطمة والمستوردة .

ان الثقافة مفتاح الحياة فى هذا العصر الذى لم يعد للأمى مكان فيه وان هذه الثقافة من حق ربة الاسرة ومديرة شئونها قبل أى انسان آخر لكن هذه الثقافة يجب أن تكون خادمة لهذا الدين موطدة لدعائمه مركزة لاركانه .

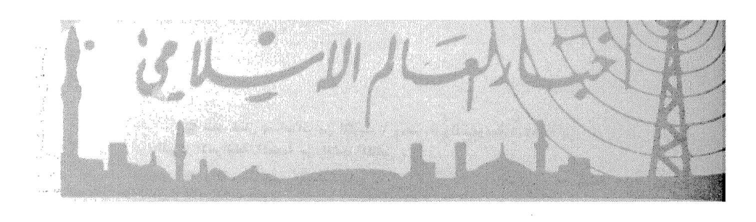
فلتتعلم الفتاة ولتتسع مداركها ولتحط بكل ما تستطيع الاحاطة به من علم وخبرة ولتشارك بعد ذلك فى حياة أمتها بكل منحى من مناحيها ولتكن فى بيتها أما تصنع الاجيال مصلحة ترشد من يضل عاملة تثبت فكرها ومبادئها سياسية تقول رأيها وما تؤمن به اجتماعية تقيل العثرة وترأب الصدع وفى اسلامها مجال يتسع لكل ذلك شرط أن تعمل فى أطاره وبوحى منه .

ان الاسرة مصنع الرجال ومولد الابطال ولقد آن لنا أن نبدأ رحلتنا من داخلها فننير جوانبها ونبدد الظلمات من حولها ونوثق رابطتها ونديم ودها فان الخير منها ينبعث اذا أردنا وفيها يندفن اذا رغبنا ..

ماذا فى أمريكا .. ؟

نشرت احدى المجلات المسيحية حديثا على لسان طبيب أمريكى قالت فيه :

ان الممثل الهزلى يتقاضى مليونا من الدولارات فى السنة بينما يتقاضى المدرس فى مدرسة عاليه الفين من الدولارات بلغ عدد القتلى فى حرب فيتنام فى مدة التسع سنوات ٤٣٫٠٠٠ قتيل ولكن السائق المخمور فى بلادنا قتل فى طرقات أمريكا فى هذه المدة عينها ٢٤٫٠٠٠ قتيل وقد كشفت الاحصاءات الاخيرة عن أن ٢٠٫٠٠٠ شخص على الاقل يقتلون سنويا باطلاق النار عليهم .. يضاف الى هذا جرائم هتك العرض والفساد والاباحية التى تهدد نظامنا الاجتماعى كله ثم ينبغى أن نعترف فى ألم وأسى أن الرجل الاسود فى بلادنا لم يحظ بكامل حريته انما هو (نصف عبد) بالامس أصدرت محكمتنا العليا قرارا يصم بغير الدستورية أى تعليم دينى يقدم للاطفال فى مدارسنا وأنه مما يناقض روح الدستور أن ندمج فى برنامج التعليم أية معرفة عن الله وانك لترى اليوم ٨٥٫٠٠٠٫٠٠٠ من الامريكيين أو ٦٣٪ من السكان لا ينتمون لأية كنيسة بصفة اسمية وبالامس أصدرت احدى الولايات قرارا بتحريم اعطاء موانع الحمل للفتيات غير المتزوجات وطالبات الجامعة وعلى أثر ذلك انعقدت المحكمة العليا بالولاية وأصدرت حكما بعدم شرعية قرار الحاكم ومخالفته لروح الدستور .



الاستاذ : عبد المعطى بيومى

الكويت : زار البلاد وفد من السفراء المسلمين فى لندن خلال جولة فى بعض الدول الاسلامية للدعوة لجمع تبرعات لانشاء المركز الاسلامى ، ومسجد فى لندن .

● اتفق على أن يمول الصندوق الكويتى للتنمية العربية مشروعات فى الاردن ، وفى السودان ، فى اطار التعاون بين الكويت والدول العربية .

● قررت وزارة الاوقاف تخصيص ايجار البيوت التى انشاتها الوزارة لموظفى المساجد .

● أقيم فى الشهر الماضى بقاعة المعهد الدينى احتفال حضره الاستاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم وكيل الوزارة حيث سلم سيادته الشهادات لخريجى معهد الامامة والخطابة .

مصر : قام الرئيس أنور السادات بالتشاور مع المسئولين فى المملكة العربية السعودية ، والكويت ، فى اطار خطة لتوطيد دعائم الاخوة العربية .

● أعلن الرئيس السادات أن مصر ماضية فى تطوير اسلحتها ، وتصنيع هذه الاسلحة محليا ، لمواجهة تصنيع اسرائيل لاسلحتها .

● تحدد يوم ٩ سبتمبر القادم موعدا لانعقاد مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة بعد أن كان محددا له آخر مايو القادم ..

● بعث الازهر وفدا من علماء المسلمين للاتصال بالمسئولين وبالمسلمين فى الفلبين لاخماد الفتنة ، ووقف المذابح ضد المسلمين .

السعودية : أكد جلالة الملك فيصل لأكثر من مائتى صحفى بأن معظم فساد العالم انما كان نتيجة الصهيونية والمذاهب الالحادية .

● اتخذ مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الثالث عدة قرارات بالموافقة على قيام الامانة العامة ، وميزانيتها ، وادانة اسرائيل .

● خصصت السعودية اذاعة خاصة للقرآن الكريم ابتداء من صفر الماضى فى كل من الرياض وجدة ..

الاردن : أعلن الملك حسين عزمه على تنفيذ قراره بانشاء المملكة العربية المتحدة ، من قطر أردنى وقطر فلسطينى ، يتمتع كل منهما بالحكم الذاتى ، رغم اعلان الدول العربية عن رفضه .

العراق : ابلغ العراق حكومة الاردن بأنها وافقت على اعادة التبادل التجارى والاقتصادى بين البلدين .

● دعت العراق الى وحدة فورية مع مصر وسوريا وتجرى اتصالات على مختلف المستويات لتحقيق هذا الهدف ..

● اقترح العراق على جامعة الدول العربية انشاء صندوق عربى لمساعدة عائلات شهداء المقاومة ..

لبنان : أعلن الرئيس اللبنانى أن لبنان لن تغير موقفها من الفدائيين ، رغم العمليات الاسرائيلية فى الجنوب فى الشهر الماضى .

● تلقت لبنان مساعدات من الكويت ، ومصر ، والسعودية ، لاعادة بناء القرى التى هدمتها القوات الاسرائيلية المعتدية فى الشهر الماضى .

● وافقت الحكومة اللبنانية على انشاء المجمع العربى الاسلامى ، ومهمته احياء التراث العربى الاسلامى بالتعاون مع بعض الدول العربية .

قطــــر : تبرعت قطر بمبلغ (٢٠٠) الف جنيه استرلينى لبناء المسجد والمركز الاسلامى فى لندن (يتكلف بناؤه حوالى مليون ونصف مليون جنيه استرلينى) .

الســـودان : توصل فى السودان الى اتفاق يمنح الجنوب الحكم الذاتى فى اطار السودان الواحد .

● سيجرى قريبا استفتاء شعبى للانضمام الى دولة اتحاد الجمهوريات العربية .

ليبيـــا : سيقوم الرئيس معمر القذافى بزيارة لباكستان فى شهر ابريل الحالى ، والجدير بالذكر أن ليبيا كانت قد بذلت جهدا مركزا لادانة الهند ونصرة باكستان .

● استشهد خمسة ليبيين فى معارك بين الاسرائيليين والفدائيين الفلسطينيين فى منطقــة جنوب لبنان .

● صدر قرار بمنع دخول المجلات التى تنشر صورا نسائية عارية أو مثيرة .

الجــزائر : قام مساعد وزير الخارجية الامريكى للشئون الافريقية بزيارة الجزائر فى الشهر الماضى فى اطار التعامل الاقتصادى بين البلدين .

● دعت الجزائر الى استمرار النضال العربى ضد اسرائيل .

موريتــانيا : اكد الرئيس الموريتانى أن موريتانيا تستلهم الشريعة الاسلامية أساسا لحياتهـــا وتقدمها .

باكســتان : اعلن الرئيس الباكستانى أن حالة الحرب مستمرة بين باكستان وبين الهند ، وأنه يحمل الهند مسئولية اعتقال أسرى الحرب الباكستانيين .

● رفض المسئولون عن الحكم فى داكا استقبال بعض أعضاء وفد المؤتمر الاسلامى لوزراء الخارجية ..

الهنـــد : طردت الهند (٤٠٠٠) مسلم من المناطق التى تحتلها من باكستان الغربية كما أقامت الهند عدة تحصينات على خط وقف اطلاق النار بينها وبين باكستان .

● أعلنت رئيسة وزراء الهند أنها لن تطلق سراح أسرى الحرب الباكستانيين الا اذا اعترف الرئيس الباكستانى بادارة ما يسمى ببنجالاديش .

أخبار متفرقة :

أوغندا : قرر الرئيس عيدى أمين طرد جميع الاسرائيليين من أوغندا .

لنــدن : أنشىء أخيرا اتحاد يضم الجمعيات الاسلامية الـ ٥٩ التى تمثل الجالية الاســلامية فى بريطانيا (نصف مليون مسلم) .

● قام وفد من السفراء المسلمين بجولة فى السعودية ، والكويت ، وقطر ، والامارات العربية بهدف الاستعانة على بناء مسجد ومركز اسلامى فى لندن .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأ. عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

الدوحــة : سالم الانصارى — الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت